الإمارات
THE EMIRATES

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

العدد 26، يناير 2021، السنة الخامسة

ملف الشهر

التراث الإماراتي إلى العالمية

«اليونسكو» تدرج عناصر من التراث العربي على قوائمها

حصاد التراث يبرز الجهود الاستثنائية في حماية الموروث الإماراتي

جامعة الشارقة و « الشارقة للتراث» يطلقان جدارية فنية ثلاثية الأبعاد

مراود العدد 26، يناير 2021، السنة الخامسة
MARAWED Issue, 26 (JAN 2021), The Fifth Year

MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

Issue, 26 (JAN 2021) The Fifth Year

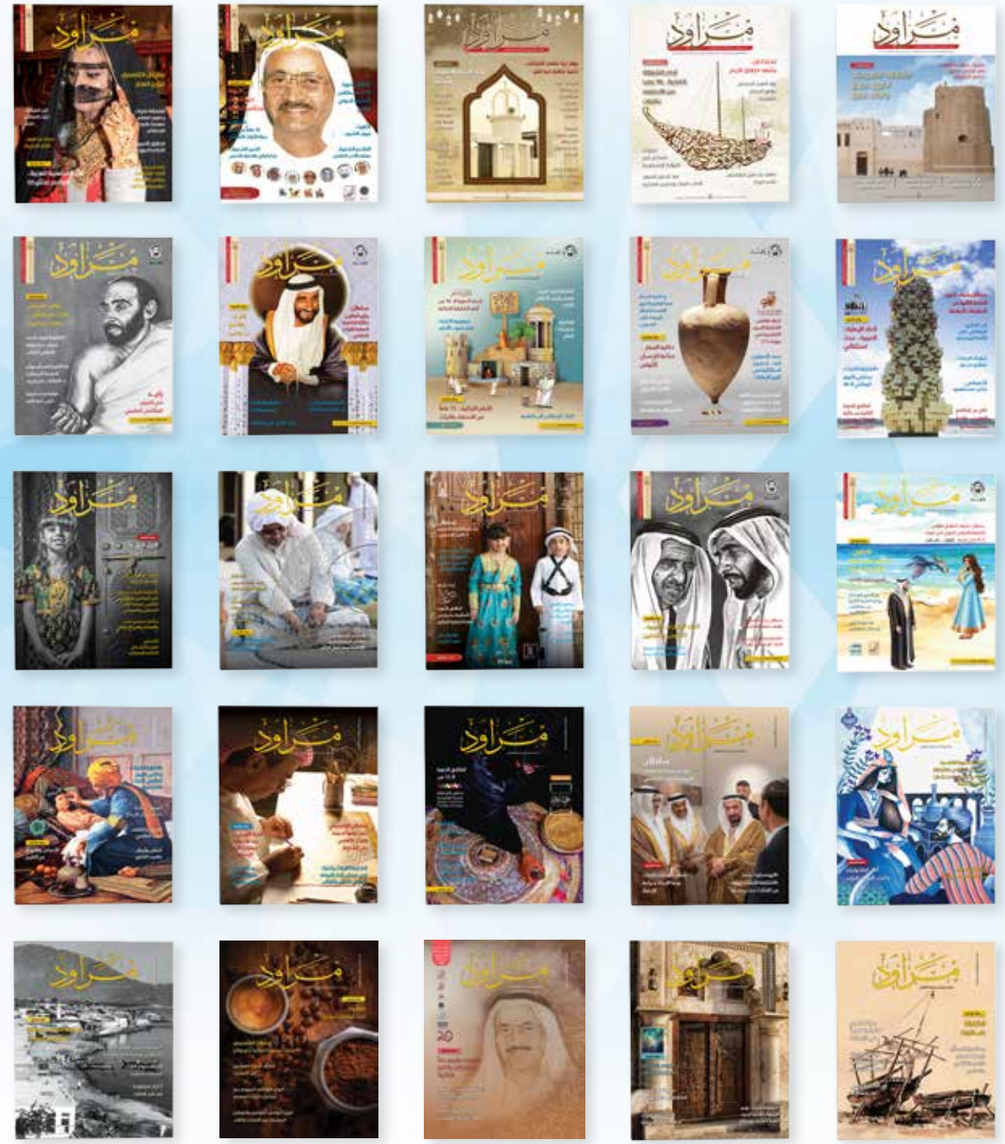

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

معهد الشارقة للتراث
Sharjah Institute for Heritage

إدارة المحتوى والنشر
Content and Publishing Department

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae

للتواصل مع إدارة التحرير:

0097165014898 - 00971567927270

m.bounama@sih.gov.ae

مراود

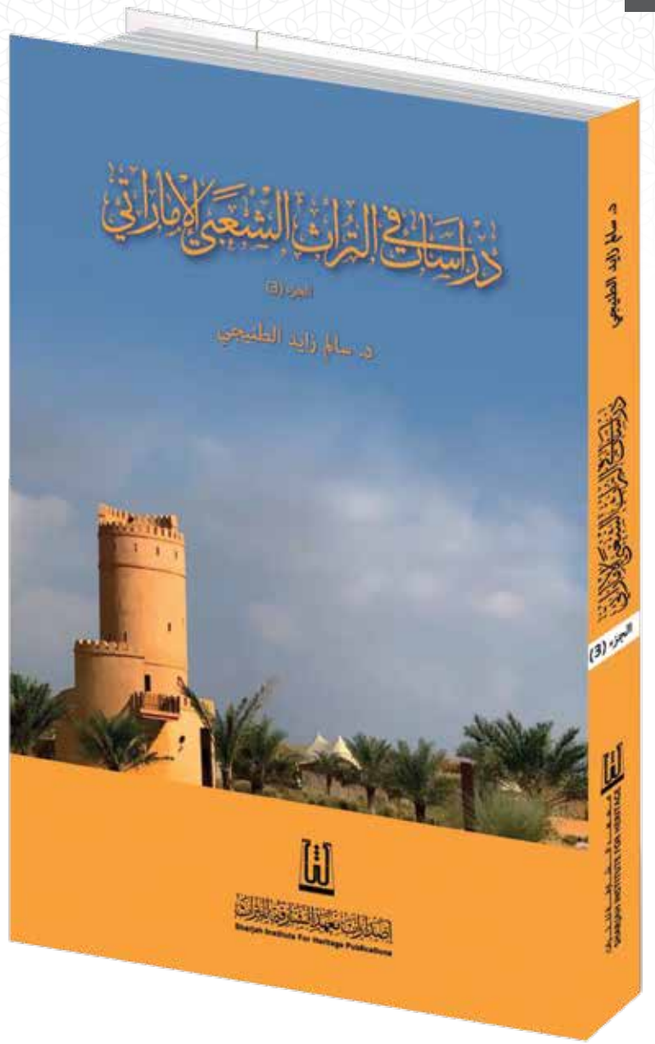

التراث الإماراتي إلى العالمية

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

يمثّل التراث الإماراتي بعناصره كافة، مادية أو غير مادية، مرآة الماضي، ورمز الهوية والانتماء الوطني، وتعكس الجهود الرسمية والفردية للمحافظة عليه وصونه وحفظه من الضياع والاندثار توجهاً سديداً، ومنعرجاً للحماية والصون والحفاظ، وقد آتى بعضها أكله، ولانزال نقطف ثماره كل يوم، ويأتي تسجيل عنصري «الأفلاج» و«سباقات الهجن» على قوائم «اليونسكو» تتويجاً لتلك الجهود الرسمية الحثيثة والمباركة، واستكمالاً للمساعي الطيبة التي بدأتها دولة الإمارات العربية المتحدة منذ فترة طويلة، وذلك ما حدانا للاحتفاء بهذه المناسبة، وتسليط الضوء على كل العناصر التراثية الإماراتية المسجلة على قوائم اليونسكو، ضمن ملف خاص بعنوان «التراث الإماراتي إلى العالمية»، وهو موضوع خصب وحيوي ومهم؛ لما سيسهم به من تعريف شامل ومتكامل لمختلف العناصر التراثية الإماراتية، وفتح نافذة مشرعة لتقديم عناصر أخرى للتسجيل اتساقاً مع تلك الجهود، حتى تضاف إلى سجل الإمارات الزاخر.

وسيجد القارئ في هذا العدد استعراضاً ضافياً للعناصر الأحد عشر التي تم تسجيلها إلى الآن، وهي: (الصقارة، السدو، التغرودة، العيالة، القهوة العربية، المجالس العربية، الرزفة، العازي، النخلة، الأفلاج، سباقات الهجن)، بالإضافة إلى موضوعات غنية تندرج في السياق نفسه، منها موضوع عن ملف أيام الشارقة التراثية، الذي تقدم به معهد الشارقة للتراث؛ للتسجيل ضمن سجل أفضل ممارسات صون التراث الثقافي.

كما تضمن العدد حصاد التراث، من خلال استعراض بانوراما إخبارية ثقافية وتراثية متنوّعة، حول البرامج والأنشطة والفعاليات التي نظمها المعهد طوال العام، وأثرها وتأثيرها في تعزيز الوعي بالتراث الإماراتي، بالإضافة إلى موضوعات أخرى من بينها: زايد.. شاعر تتفاعل البيئة في عوالمه الشعرية، وتأثير الشعر الشعبي في الأغنية بالإمارات، وفن السيع (السجع)، والمرأة البدوية، والتأليف في التراث الشعبي وغيرها.

واشتمل العدد على دراسات ومقالات متنوّعة، حوت مقاربات رصينة حول قضايا من التراثين العربي والعالمي، تبرز جماليات التراث الإنساني برمته، وتظهر مواطن الالتقاء والتواصل بين مختلف الشعوب.

محتويات العدد

الافتتاحية
5

ملف العدد
التراث الإماراتي إلى العالمية
10

زايد شاعر تتفاعل البيئة في عوالمه الشعرية
دراسة
محمد عبدالله نور الدين
84

أخبار ومتابعات
94

أشياء من الماضي
علي العبدان
72

فنون شعبية
علي العشر
76

الزراعة في الأدب الشعبي في الإمارات «1»
الأمثال الشعبية
100

التأليف في التراث الشعبي
104

حكاية
علي أحمد المغني
78

حصاد التراث يبرز الجهود الاستثنائية
في حماية الموروث الإماراتي
88

الصعود إلى السماء لحارب الظاهري
106

الجاحظ.. الأديب الذي مات تحت كُتبه!
والمثقف والساخر الأشهر في زمانه
110

عبدالحميد يونس
رائد الأدب الشعبي
113

«فجر الإسلام» ..
ومسارات الدرس العقلي والفكري
116

الأغنية في الموروث الشعبي
مصدر وحي ومنبع إلهام
120

الحكاية في الموروث
الشعبي الموريتاني
128

تجليات الإبداع في التجارب الشعرية ومدارسها
132

أحمد بن ماجد
مغامرات البحر والفوائد
138

رأس السنة اليابانية
142

شرفة
148

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
د. ماجد بوشليبي
رئيس جمعية المكتبات والمعلومات

مدير التحرير
د. منّي بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

سكرتير التحرير
أحمد الشناوي

أسرة التحرير
أ. علي العبدان
أ. عتيج القبيسي
أ. عائشة الشامسي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

التصوير
قسم الإعلام

ملف العدد

التراث الإماراتي إلى العالمية

11 عنصراً تراثياً سجلت خلال العقد الأخير

عناصر التراث الإماراتي على قائمة اليونسكو

يمثل التراث الثقافي الإنساني جزءاً مهماً من هوية المجتمعات الإنسانية، لما يتضمنه من عناصر ورموز تتّصل بمختلف الجوانب الحياتية للمجتمعات الإنسانية بما تشتمل عليه من عادات وتقاليد وأعراف وممارسات ثقافية وعروض أدائية وفنية شعبية درج عليها السلف وأورثها للخلف، وتتناقلها الأجيال كابراً عن كابر، ومنها عناصر على حافة الاندثار والانقراض وأخرى لم تعد متداولة على نطاق واسع.

وتعد تجربة الإمارات في مجال توثيق وحفظ التراث غير المادي وتسجيله ضمن قائمة «اليونسكو» التمثيلية للتراث الثقافي الإنساني غير المادي رائدة ومهمة، حيث نجحت، منذ عام 2010 وإلى غاية 2020، في تسجيل 11 عنصراً على قائمة التراث الثقافي غير المادي للبشرية التي تعتمدها اليونيسكو، من خلال ملفات وطنية ودولية وخليجيّة وعربية مشتركة، ما يعزز مكانة الدولة عضواً فاعلا في اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي للبشرية للعام 2003، والتي تهدف إلى زيادة الوعي بالتراث غير المادي وضمان الاعتراف بتقاليد المجتمعات ودرايتها لتعكس تنوّعها الثقافي. حيث قامت بتسجيل الصقارة مع أكثر من 24 دولة تتوزع في قارات العالم كافة، وملف النخلة بمشاركة 14 دولة عربية، وملفات خليجيّة عديدة هي: سباق الهجن، العيّالة، والرزفة والمجالس العربيّة، والتغرودة، إضافةً لملفي السدو والعازي. وفي طريقها لإدراج كل من، الخط العربي، وحداء الإبل، والهريس، عملاً بتوجيهات القيادة الرشيدة في الحفاظ على التراث الوطني وصونه للأجيال القادمة.

المجالس، القهوة العربية، الرزفة، الصقارة، السدو، التغرودة، العيالة، العازي، النخلة، الأفلاج وسباق الهجن عناصر من التراث الإماراتي على قائمة اليونسكو للتراث العالمي تعبيراً عن مدى أهميتها التراثية لكونها تشكّل جزءً مهماً من ثقافات الشعوب وعاداتها ونحلة عيشها وتراثها الممتد في أعماق التاريخ، وهي نموذج لدور التراث في بناء الجسور الحضارية والإنسانية بين الشعوب ودليل على أصالة التراث الخليجي ووحدته الجغرافية والتاريخية والإنسانية.

تُدرج عناصر من التراث العربي على قوائمها

أدرجت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، مجموعة عناصر جديدة على قائمة التراث الثقافي غير المادي، من بينها طبق الكُسكُس، وسباق الهجن.

جاء ذلك خلال الاجتماع السنوي للجنة الدولية الحكومية لصون التراث الثقافي غير المادي، المنعقد في جاميكا عبر الإنترنت، في الفترة من 14 إلى 19 ديسمبر الماضي.

وذكر الموقع الرسمي لليونسكو، أن اللجنة تلقت 40 طلباً لإدراج عناصر جديدة في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية .

ومن أبرز العناصر التي انضمت إلى القائمة «المهارات والخبرة والممارسات المتعلقة بإنتاج واستهلاك الكُسكُس»، وهو ملف مشترك تقدمت به الجزائر وموريتانيا والمغرب وتونس.

وكذلك «سباق الهجن والعادات الاجتماعية والتراث الاحتفالي المتعلق بالإبل»، وهو ملف مشترك أيضاً، تقدمت به الإمارات وسلطنة عمان.

وانضم إلى القائمة «الصيد باستخدام الشرفية في جزر قرقنة»، وهي إحدى أقدم طرق صيد الأسماك في شرق تونس، وكذلك استطاعت دولة الإمارات أدراج نظم الأفلاج للري .

وبناء على ملف مشترك من السعودية والكويت، أدرجت اللجنة «حياكة نسيج السدو التقليدية» على القائمة. وتضم القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية 463 عنصراً، وهي تهدف إلى إبراز التقاليد الثقافية والمهارات التي تمتلكها المجتمعات المحلية.

وذكر موقع اليونسكو، أن اللجنة الدولية الحكومية لصون التراث الثقافي غير المادي، نظرت خلال اجتماعها أيضاً في أربعة ترشيحات جديدة للانضمام إلى قائمة العناصر التي «تحتاج إلى صون عاجل»، وقبلت اللجنة «النسيج اليدوي» في مصر العليا (الصعيد).

التراث الإماراتي إلى العالميـة

UNESCO

الصقارة
2010

السدو
2011

التغرودة
2012

العيالة
2014

القهوة العربية
2015

المجالس العربية
2015

سباق الهجن
2020

الأفلاج
2020

النخلة
2019

العازي
2017

الرزفة
2015

العدد 26 يناير 2021

الصقارة

تراث حري بالحفظ

عُرفت الصقارة في المنطقة العربية منذ 4000 سنة مضت، ومارسها البدو في بواديهم، لاسيما صحراء دولة الإمارات وشبه الجزيرة العربية، باعتبارها أحد أشكال الصيد المهمة في أرض شحيحة بالموارد الطبيعية، إلا أن دور الصقارة في المجتمع قد تغير مع الزمن، فأصبحت اليوم من أهم الرياضات التقليدية في دولة الإمارات.

وترتبط رياضة الصيد بالصقور بالقيم النبيلة كالشجاعة والفخر والمجد، بالإضافة إلى صلتها بالحفاظ على الطبيعة والصيد المستدام، وروح الصداقة التي تربط بين الصقّارين.

انتشرت الصقارة في المجتمعات كتراث ثقافي غير مادي، وممارسة اجتماعية ترفيهية، ووسيلة للتواصل مع الطبيعة، ومع أنها كانت في الأصل وسيلة للحصول على الغذاء، إلا أنها أصبحت بمرور الزمن تحمل كثيراً من الدلالات والقيم والمعاني الاجتماعية، كما أصبحت رمزاً من رموز الصداقة والمشاركة، والتعبير عن الحرية، إذ يمتلك الصقارون مجموعة خاصة من التقاليد والأخلاقيات، ذات الطابع الثقافي، على الرغم من أنهم يأتون من خلفيات اجتماعية مختلفة، كما يحرصون من خلال العديد من الطرق على نقل هذه الرياضة التراثية إلى أبنائهم وأحفادهم وفئات المجتمع الشابة.

تعدّ الصقارة إحدى أقدم العلاقات التي تربط الإنسان بالطير، إذ تعود ممارستها إلى أكثر من 4000 سنة، كما تعد نشاطاً تقليدياً يعتمد على إطلاق الصقر لاصطياد طريدته في بيئتها الطبيعية، من قبل أفراد من جميع الأعمار، هواة ومحترفين، ومع مرور

الوقت عمل الصقارون على تعزيز علاقاتهم بالطيور، وأساليب تدريبها، مما أدى إلى ظهور لغة خاصة بين الصقار والصقر، وبروز أدب شعبي تمثل في الشعر والأمثال والأغاني والقصص والحكايات، كما تطورت أدوات الصقارة المصنوعة يدوياً.

يعدّ الصقارون أنفسهم مجموعة تتميز بهذه الرياضة التراثية، مما يعزز لديهم القيم الثقافية المبنية على المشاركة والتعاون والدعم المتبادل، أو ما يطلق رابطة المخوة (الأخوة) في دولة الإمارات، ورابط (الشريك) في المملكة العربية السعودية، وتتجلى هذه الروابط في الصداقة والمشاركة المتساوية في المهام والتكاليف والمسؤوليات أثناء رحلة الصيد، للمجموعات التي يراوح عدد كل منها من ستة إلى اثني عشر صقاراً، يمضون من أسبوع إلى ثلاثة أسابيع في ممارسة هذه الرياضة التراثية، التي تتخللها جلسات السمر حول مواقد النار المشتعلة في المخيمات التي يقيمونها في مناطق الصيد، وتبادل الأحاديث والنوادر التي عاشوها خلال رحلتهم اليومية في تتبع طرائدهم، ويلخص هذه الأجواء الحميمة بين الصقارين، والقيم السامية التي تغرسها ممارسة الصيد بالصقور في نفوسهم، قول سمو الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان، رئيس نادي صقاري الإمارات: «تسمح الصقارة لأبنائنا بأن يستمتعوا بسحر الصحراء، وتغرس فيهم فضائل الصبر، وقوة الإرادة، والأخوة، وهي قيم مهمة في حاضرنا، كما كانت من قبل على مرّ الأجيال».

السدو

قصة تُروى بالحياكة

نجحت الإمارات في نوفمبر 2011 بتسجيل «السدو: مهارات النسيج التقليدية في دولة الإمارات»، في قائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، الذي يحتاج إلى صون عاجل، وذلك بهدف تعزيز استمرارية هذه الحرفة التراثية، وتسليط الضوء على التراث المعنوي الإماراتي.

يعد السدو من الحرف التي يشتهر بها أهل البادية في المناطق الشحيحة بالموارد الطبيعية في شبه الجزيرة العربية، ويستخدم في حياكة هذا النسيج البدوي التقليدي وبر الإبل وشعر الماعز وصوف الأغنام، ويصنع منه البطانيات والسجاد والوسائد والخيام وزينة رِحال الإبل.

ومن أهم ما يميز حرفة السدو التقليدية في الإمارات القيمة الجمالية للمنسوجات الغنية بالزخارف والرموز والأشكال والنقوش التي تعكس البيئة البدوية، فالوحدات الزخرفية في السدو، تمثل إلى جانب الأشكال الهندسية البسيطة، تموجات السهول والرمال، كما تعكس كثيراً من عناصر البيئة، كأشجار النخيل والزهور، وعناصر الحياة الاجتماعية والدينية، مثل أدوات القهوة، وغيرها من الأدوات المنزلية، والآيات القرآنية، وصور المساجد، إضافة إلى أسماء بعض القبائل كنوع من الافتخار بالانتساب إليها.

استخدم السدو قديماً في مجالات وأشكال متعددة، منها صناعة «المزاود» والخروج و«المركى» والمفارش والمساند، وتدخل في هذه الحرفة أيضاً في حياكة الملابس، و«البشوت» التي يلبسها الرجال في منطقة الخليج العربي، ويعد السدو عنصراً أساسياً في

تكوين بيوت الشَّعر، وهي عبارة عن مساكن متنقّلة، حيث كان البدوي في حالة تنقّل مستمر، بسبب ظروف البيئة والحياة التي كان يعيشها الناس قديماً.

والسدو يشبه «النول» المستخدم في صناعة النسيج في بعض الدول العربية، ويتكوّن من أربع قطع حديد متصلة ببعضها على شكل مستطيل، تشدّ على السدو الخيوط في الاتجاه الطولي، ثم تستخدم قطعة خشبية مربوطة بالخيوط بشكل عرضي، لإدخالها بين الخطوط الطولية، لنحصل في النهاية على الأشكال والزخارف المطلوبة، من دون استخدام أي أدوات إلكترونية.

وتعتمد صناعة السدو على وبر الإبل وصوف الماعز والأغنام، ومجموعة من المعدات منها، المغزل والأوتاد الخشبية، وفي الماضي كان الرجال والنساء يمارسون هذه الحرفة، أما اليوم، فأصبحت المرأة أساس استمرار هذه الصناعة، وهي من تتحمّل مسؤولية صونها والحفاظ عليها، كما أنها الأكثر براعة وإتقاناً في صناعتها.

التغرودة

فن الشعر الفريد

في ديسمبر 2012، أدرجت منظمة اليونسكو «التغرودة» (الشعر البدوي التقليدي المُغنّى على ظهور الإبل)، تراثاً إنسانياً حيّاً في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، مما أسهم في تعزيز فرص استمرار التغرودة، وبقائها لوناً تراثياً أصيلاً، وأكد مكانتها في قائمة فنون الأداء في المنطقة، وضمن ممارستها من قبل الأجيال الحالية والقادمة. وتمثل التغرودة جزءاً من الكتاب التراكمي لشعر القبائل البدوية، الذي يشتمل على تاريخ هذه القبائل، وقيمها الثقافية، وعاداتها الاجتماعية، ونظرتها إلى العالم، وحكمتها وثقافتها التعبيرية.

تمارس التغرودة في دولة الإمارات بشكل تقليدي من قبل القبائل التي عرفت باهتمامها بتربية الإبل في المنطقة الغربية، وحول مدينة العين، وبعض التجمعات البدوية حول المناطق الجبلية من رأس الخيمة والفجيرة، وسكان القرى الزراعية الصغيرة، التي تعرف تراثياً باسم المحضر، حيث يجتمع فيها كبار السن لإلقاء الشعر على أفراد العائلة، كما تعد التجمعات السكنية الجديدة التي تكوّنت حول أسواق الجمال في أبوظبي ودبي والشارقة وأم القيوين، جزءاً من هذه الجماعات المعنية.

تتألف قصيدة التغرودة من أبيات قصيرة (أقل من سبعة أبيات عادة)، وتتبع الوزن السريع في الشعر العربي الفصيح، الذي يعرف باسم الرجز، ويتم الإنشاد من خلال المبالغة في مد الحروف المتحركة،

وكان البدو يعتقدون أن هذا النوع من الشعر يُسلّي الراكب، ويحثّ المطايا على السير مع الإيقاع، وقد تغيرت التغرودة في العقود القليلة الماضية؛ نظراً إلى التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت بالمنطقة، حيث تحولت إلى شكل من أشكال التعبير الشعري الذي يستخدم بعض الأوزان الشعرية، وأصبح من غير الضروري أن يصحبه الإنشاد، كما يقدم هذا النوع من الشعر حالياً مكتوباً أو مسجلاً.

تتنوع موضوعات شعر التغرودة ما بين الحب الرومانسي والصداقة والطموحات والمديح والعلاقات القبلية، ويمتاز هذا النوع من الشعر بأنه مباشر ولا يستخدم صوراً مجازية معقدة، هذا وتلعب التغرودة دوراً مهماً في توثيق التاريخ الاجتماعي والثقافي للمنطقة، وكان الشعراء وحاملو هذا التراث في الغالب من الذكور البالغين، الذين اعتادوا قضاء كثير من أوقاتهم على ظهور الإبل، كما كانوا من ذوي المكانة والوجاهة في المجتمع، وممن يحظون بقدر كبير من الاحترام، لدورهم في توسيع نطاق حمل هذا التراث؛ ليشمل كثيراً من الجماهير العادية، وقد عرفت النساء البدويات أيضاً في الماضي والحاضر بالقدرة على تأليف قصائد التغرودة، وإنشادها أثناء قيامهن بالأعمال الجماعية، لكن عددهن كان دائماً أقل، مقارنة بالرجال، ومن بين الشعراء المشهورين في فن التغرودة التراثي في دولة الإمارات: عبيد بن معضد النعيمي، وأحمد بن سالم بالعبدة الشامسي، ومحمد بن حامد المنهالي، وكما رأينا فإنه ليس من الضروري أن يكون حملة هذا التراث شعراء، إذ إن كثيراً من الأشخاص المعروفين بهذا اللون من الشعر هم في الواقع مؤدون، نظراً إلى انطواء التغرودة على الإنشاد المتكرر، ذلك لأن التعبير الشعري موهبة فردية تتوارث في بعض الأحيان من الأسرة.

وفي العصر الحالي، وتفاعلاً مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة، أصبحت قصائد التغرودة تتحدث عن موضوعات تقليدية وحديثة، وأصبحت تُلقى في العديد من المناسبات، مثل الأعراس، وتكريم ضيوف القبائل، والاحتفالات الوطنية، لاسيما أثناء سبق الهجن.

العيالة

فن شعبي عريق

في نوفمبر 2014 تابعت دولة الإمارات تألقها الثقافي؛ بتسجيل فن العيالة في منظمة اليونسكو، في إنجاز مُهم أسهم في إحياء مختلف فنون الأداء، وتسليط الضوء على التراث الثقافي لدولة الإمارات، وتشجيع التنوّع الثقافي وحوار الحضارات.

عرفت العيالة، بصفتها فناً من فنون الأداء الشعبي منذ زمن طويل في جميع أنحاء دولة الإمارات، إذ يمارسها الذكور بالدرجة الأولى، ومن جميع الفئات العمرية، إضافة إلى مشاركة عدد من الإناث اللائي يطلق عليهن اسم (النعاشات).

ارتبطت العيالة تاريخياً بثقافة وشهامة الصحراء، وهي أحد الطقوس الاجتماعية المهمة، التي تسهم في تغذية روح الكرامة والشرف للجماعات الساحلية والداخلية، كما أصبحت جزءاً من احتفائهم بالهوية والتاريخ، وتقليداً تراثياً، وعرضاً ثقافياً يرمز إلى الماضي، وإلى الهوية الوطنية.

تمارس العيالة بشكل منتظم في جميع أوقات العام، لاسيما في الاحتفالات الوطنية، والمناسبات الاجتماعية، كما تقدم عروضها لرؤساء الدول الذين يأتون في زيارات إلى الدولة، وفي كثير من المؤتمرات والاحتفالات التراثية، ونظراً إلى

مكانتها في المجتمع، أصبحت وسيلة من وسائل الترفيه الاجتماعي في الأعراس وغير ذلك من الاحتفالات الجماعية.

تجسد العيالة تراث المجتمع الإماراتي؛ لذا يشارك فيها جميع الفئات العمرية من كلا الجنسين، وجميع الطبقات الاجتماعية، كما يشارك الحكام والمسؤولون على المستوى الوطني والمحلي في عروضها في المناسبات الوطنية، بعد أن أصبحت رمزاً من رموز التراث الإماراتي.

تعدّ العيالة من الفنون الشعبية والثقافية التعبيرية، التي تمارسها بعض الجماعات الريفية والحضرية، وتشتمل على أداء الشعر وإنشاده، وقرع الطبول، ويؤدي هذا العرض صفان من الرجال، يقفان مقابل بعضهما بعضاً، ويتكوّن كل صف عادة من عشرين رجلاً أو أكثر، بحيث يحاكي العرض مشاهد المعارك، حيث يشكل المرددون صفوفاً محكمة، ويحملون في أيديهم عصياً رفيعة من الخيزران، ترمز إلى السهام أو السيوف، كما يتبادل الصفان الحركات، كرمز للنصر أو الهزيمة، وفي هذه الأثناء ينشد الجميع شعراً حماسياً، محركين رؤوسهم وعصيّهم بشكل متناغم مع قرع الطبول.

تحكم هذا العرض مجموعة من القواعد، حيث يقود الجمعَ شخص قيادي يطلق عليه اسم (الأبو)، ويكون مسؤولاً عن تحديد إيقاع الأداء وسرعته، في حين يقف قارعو الطبول (أهل الزانة) وغيرهم من الأفراد المؤدين (اليويلة) بين صفي الرجال، ويدورون في حلقة، وهم ممسكون بسيوفهم أو بنادقهم، ثم يقذفونها من وقت إلى آخر في الهواء، ويعاودون الإمساك بها، كما تقف مجموعة من الفتيات يطلق عليهن اسم (النعاشات)، وهن مرتديات أزياء تقليدية ملونة في المقدمة، ويقمن بتحريك شعورهن من جانب إلى آخر، تعبيراً عن الثقة التي يشعرن بها؛ بسبب حماية المؤدين الذكور لهن.

القهوة العربية

رمز كرم العربي

تعدّ «القهوة العربية» من أبرز العناصر المتأصلة في قلب ثقافة دولة الإمارات العربية المتحدة، والوطن العربي بشكل عام.

والقهوة جزء أساسي من الضيافة العربية، وتعكس التقاليد المرتبطة بها أصالة تراث المنطقة، وتمثّل طريقة تقديمها أهم تقاليد الضيافة في المجتمع العربي عامة، والمجتمع الإماراتي خاصة، فضلاً عن كونها رمزاً للكرم، ولاحترام الآخرين وتقديرهم. وظلت القهوة العربية تُشكل جزءاً أساسياً من الثقافة العربية على مدار قرون عدة.

وتتميز طريقة تحضيرها وتقديمها بتقاليد ومراحل دقيقة، إذ يتم إعداد القهوة وتحضيرها من قبل «صانع القهوة»، ويتم ذلك على مراحل عدة، تستهلّ

بالتحميص، حيث يتم فرز حبوب البن وغسلها وتجفيفها، وأخيراً تحميصها حتى يتغير لونها، وتصبح حبوباً لعمل قهوة «شقراء»، أو «داكنة» حسب الرغبة، ثم تُطحن وتُخمّر، وتتم إضافة مختلف البهارات إليها، مثل الهيل والزعفران والقرنفل؛ للحصول على قهوة ذات مذاق ورائحة عطرة، وتعدّ هذه المنكّهات إضافات عصرية للقهوة العربية، حيث كانت تقدّم سابقاً صافية وقوية وخالية من أي منكهات مضافة.

ونظراً لأهميتها الثقافية الكبيرة، فقد تم إدراج القهوة العربية في قائمة اليونسكو التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية عام 2015.

ويأتي اهتمام الإمارات بتراث وتقاليد القهوة العربية من أهمية الممارسات المتعلقة بها، إذ تشتمل تقاليد القهوة على قيم ومبادئ عميقة، أسهمت قديماً في تلاقي الخلافات، وإحلال السلام، ومن خلال الحفاظ على استمرارية هذه الممارسات، تستمر قيم التسامح وتقدير الآخرين.

المجلس

تراث عربي أصيل

يبرز «المجلس» الذي يعدُّ جزءاً مهماً من حياة الإماراتيين الاجتماعية، وهو بمثابة المنتدى الذي يجمع أفراد المجتمع؛ لمناقشة القضايا المتنوّعة والشؤون اليومية.

ونظراً للأهمية الكبيرة التي يمثلها المجلس في حياة أفراد المجتمع، فقد قامت الإمارات بالتعاون مع عدد من الدول، بإدراجه ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، في اليونسكو عام 2015.

حظيت المجالس باهتمام كبير من أبناء الإمارات منذ زمن بعيد؛ لما لها من مكانة في تحقيق التواصل بين أبناء المجتمع، وبالذات بين الحاكم وشيخ القبيلة ورعاياه، وقد حرص أصحاب المجالس على الاهتمام ببنائها وزخرفتها وتأثيثها، وإعطائها مكاناً

مميزاً من القصر أو المنزل، إذ يبنى المجلس بمدخل مستقل عن بقية أجزاء البيت، وله باب خارجي، حتى يوفر الحرية للنساء أثناء الدخول إلى البيت والخروج منه، بعيداً عن أنظار المجلس.

أما الأثاث، فكان قديماً عند عامة الناس لا يتعدى حصير الخوص، وبعض المساند المطرزة، وجرة الماء، وصندوقاً لوضع الدلال والفناجين، أما مجالس الشيوخ والتجار فكان الأثاث فيها أكثر فخامة، حيث عرفت الأرائك (الغنفات) والسجاد والستائر الفخمة.

هذا وقد يكون المجلس أو (المضيف) عبارة عن بيت من الشَّعر قرب بيت الشيخ، أو في منتصف الحي (الفريج)، أو خيم البدو، وقد يكون في أبسط حالاته عبارة عن حظيرة محاطة من ثلاث جهات

بأغصان أشجار السمر والغاف وغيرها؛ لتقيه الرياح والرمال.

وقد يكون المجلس في ظل إحدى أشجار الغاف الكبيرة، المتميزة بظلها الوارف، والتي يلجأ إليها وقت القائلة؛ أي بعد الظهر، ولذلك علاقة بطبيعة البدوي العاشق للطبيعة بمكوناتها: البر، والقمر، والنجوم.

وتصنف المجالس في الإمارات إلى أقسام متعددة، فهناك مجالس أهل الساحل، ومجالس أهل البادية، ومجالس أهل الحير، ومجالس التجار، ومجالس القضاء، ومجالس الشيوخ.

الرزفة

تحكي الموروث الشعبي الإماراتي

الرزفة فن أداء شعبي في دولة الإمارات وسلطنة عمان، وهي عنصر مهم من عناصر التراث الثقافي غير المادي؛ كونها تؤدى على نطاق واسع فيهما، وتمنح المؤدين شعوراً بالهوية والتواصل، عبر عروض أداء وأغانٍ وإيقاعات حافظت على حضورها في المشهد الثقافي والتراثي منذ سنوات عديدة، وتناقلتها الأجيال من مختلف الأعمار، في المناسبات الاجتماعية والمهرجانات الوطنية، وهي وإن ظهرت بين الجماعات البدوية في المناطق الصحراوية من المنطقة الغربية بإمارة أبوظبي، فإنها تنتشر اليوم في ربوع دولة الإمارات العربية المتحدة في المدن الرئيسة وضواحيها، وفي المناطق الساحلية كدبي، والشارقة، وعجمان، وأم القيوين، ورأس الخيمة، والمناطق الجبلية حول الفجيرة، ومنطقة الواحات في العين.

تمثل الرزفة من قبل فئات عديدة في المجتمع، وربما هذا أحد الأسباب وراء استمراريتها وأهميتها، حيث يتم نقلها بشكل مباشر من جيل إلى آخر، من خلال المشاركة والتعلم، ومما يساعد على نقل الخبرات المرتبطة بالرزفة في المناسبات المختلفة، يوكلون إليهم بعض الأدوار التي تتناسب مع سنّهم للقيام بها.

وهكذا يتعلّم الصغار من خلال هذا التحفيز والتدرج في الممارسة، ومن خلال مشاهدة الفرق التي تؤدي الرزفة في المناسبات الاجتماعية، كالأعراس ومناسبات الأعياد، علاوة على كون الرزفة أداء شعبياً مشتركاً يقوم على مشاركة الجماهير.

يقوم أداء الرزفة على اصطفاف الرجال في صفين متقابلين، وبفاصل بينهما يراوح بين 10 و20

متراً، وهي المسافة التي يقف فيها حملة الطبول والموسيقيون والرزيفة أو المزافنين، وهم رجال ينتمون إلى فئات عمرية مختلفة، يقومون بأداء الحركات بسيوفهم أو خناجرهم، كما تضيف مشاركة الفتيات (النعاشات) الجَمال إلى إيقاع العرض، من خلال تحريك شعورهن الطويلة.

وقد تبدأ صفوف الرزفة بأعداد قليلة، وسرعان ما تتكامل بانضمام الآخرين، وفي الصفين المتقابلين يصطف المؤدون بجانب بعضهم بشكل متراصٍّ، وهذه إشارة إلى الوحدة والتعاضد فيما بينهم، ويرافق هذا الانتظام في الوقوف إلقاء مقاطع شعرية من جمل قصيرة، يتم تبادلها بين الصفين مع إيقاعات ونغمات موسيقية، تمنح هذا المشهد الأدائي الانسجام والتناغم.

ومع أن الرزفة كانت تؤدى في الماضي على إيقاع الطبول فحسب، إلا أنها أدخلت إليها بعض الآلات الموسيقية، مع المحافظة على الجوانب الأصيلة في هذا الفن التراثي العريق.

تلعب الرزفة كفن من فنون الأداء دوراً حيوياً في العديد من المجالات الاجتماعية والثقافية، ولئن كانت وظيفتها الرئيسة هي الترفيه، فإنها من بين فنون الأداء التي تشجع على المشاركة الاجتماعية، وتجمع أفراد المجتمع مع الشعور بالانتماء، وتكوين الهوية الوطنية، إضافة إلى أنها وسيلة مهمة للحفاظ على حيوية الشعر التقليدي، ولأهمية فن الرزفة في التراث، أصبحت من العناصر المكملة للأفراح في الأعراس والمناسبات الوطنية، واستقبال ضيوف الدولة، كونها تعبر عن الفرح في المناسبات الوطنية، والامتنان والشجاعة والإخلاص، وهذا ما يحرص عليه الشعراء الذين ينظمون القصائد التي تؤدى في الرزفة، والتي تتماهى مع كل مناسبة من المناسبات التي تؤدى فيها، إن المكانة المتميزة لفن الرزفة، من بين فنون الأداء الشعبية، وأهميتها كفن عميق الجذور في تراث الدولة، وهي التي دعت الى التعريف بالرزفة، والترويج لها عبر منظمة اليونسكو، هذا المنبر الثقافي لتراث الشعوب، إذ أدرجت الرزفة في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية باليونسكو في ديسمبر 2015.

العازي
فن الصوت الشجي

أُدرِج فن العازي عام 2017 في قائمة التراث الثقافي غير المادي، الذي يحتاج إلى صون عاجل في منظمة اليونسكو، وأصبح اليوم أحد المظاهر القيّمة للتراث والثقافة الإماراتية.

العازي هو فن أداء تقليدي في الإمارات، تؤديه العديد من الجماعات التي تقطن المناطق الصحراوية ومناطق الواحات في منطقة العين من إمارة أبوظبي، كما ينتشر بين قبيلة الشحوح في رأس الخيمة، وقبائل أخرى تتوزع في العديد من إمارات الدولة، وعلى الرغم من تمركز هذا الفن في منطقة العين، إلا أنه أخذ بالانتشار في العديد من مناطق الإمارات العربية المتحدة، وأصبح له كثير من المؤدين المحترفين.

ومن أبرز الشعراء الذين اشتهروا بأداء فن العازي: عبيد بن محمد عبدالله النيادي، وسلطان بن سعود الكويتي، وسعيد بن مسيعيد النيادي، وعبدالله بن سالم نعمان الكعبي، وسعيد بن هلال.

والعازي أداء شعري من دون تنغيم أو مصاحبة آلات إيقاعية أو موسيقية، يؤديه شخص واحد بمصاحبة مجموعة من الرجال، حيث يتقدمهم بإلقاء قصيدة معدة مسبقاً على غرار الشعر القديم، ومن نوع المربوع، إذ تختلف قافية الشطر الثاني عن الشطر الأول، وتتخلل أبيات القصيدة الحكمة والأمثال.

النخلة

كنز الأجداد

في ديسمبر 2019، تمّ تسجيل ملف النخلة في القائمة التمثيليّة للتراث الثقافي غير المادي لليونسكو، وهو ما يُعد إضافة نوعيّة للجهود التي تبذلها دولة الإمارات؛ لصون تراثها، والترويج له على الصعيد العالمي.

وكانت الإمارات، وبرعاية من منظمة التربية والثقافة والعلوم (الإلكسو)، التابعة لجامعة الدول العربيّة، قد تقدمت بملف ترشيح النخلة، كملف عربي مشترك باسم 14 دولة، تقدّمتها دولة الإمارات، وشملت البحرين، مصر، العراق، الأردن،

الكويت، موريتانيا، المغرب، سلطنة عُمان، فلسطين، السعودية، السودان، تونس، اليمن.

حيث يرتبط الإنسان في المنطقة العربية بعلاقات تاريخية طويلة مع النخلة التي تشكّل جزءاً لا يتجزأ من تقاليدنا وتراثنا الممتدّ لآلاف السنين، فقد اعتمد الآباء على هذه الشجرة لكسب رزقهم، وتأمين قوتهم، ونفتخر اليوم بتحوّلها إلى رمز إنساني عالمي للوحدة والتضامن بين أوطاننا، التي تجمعها ثقافة وتقاليد ومعتقدات دينية واحدة.

تتمتع النخلة بتراث عريق وأصيل في الثقافة العربية، وهي رمز للعطاء الذي تتمحور حوله العديد من القيم في ثقافتنا، فقد مثلت محوراً لحياة الأجداد قديماً، ومن خلالها تمكنوا من تحدي الظروف الحياتية الصعبة، وقلة الموارد الطبيعية، فبقيت النخلة مباركة في ثقافتنا عبر العصور.

ارتبطت النخلة بحياة الماضي، وتميزت البيئة الزراعية بالحرف التقليدية التي اعتمدت في أدواتها على النخلة، فدخلت مكونات النخلة في صناعة الأدوات التقليدية لريّ المحاصيل الزراعية، فاعتمد الرعيل الأول من مزارعي الإمارات في ريّهم الأراضي الزراعية على أداة تقليدية تسمى «اليازرة».

وتعتمد في صناعتها على جذوع أشجار النخيل، حيث يتم تثبيت أربعة جذوع طوال، وتوضع عليها بكرة لتسهّل عملية سحب الثور للحبل، وفي آخر الحبل المجدول يثبت دلو أو اثنان؛ لسحب المياه من جوف الآبار في المناطق الساحلية، وتسمى الحفرة الأفقية المملوءة بالمياه بـ«الخب».

سباق الهجن

تراث عميق وممتد

نجحت دولة الإمارات في تسجيل سباق الهجن على قائمة التراث غير المادي لليونسكو، وذلك خلال الاجتماع الدوري الخامس عشر للجنة الحكومية الدولية لصون التراث الثقافي غير المادي لليونسكو، الذي عقد افتراضياً في مقر اليونسكو بباريس، خلال الفترة من 14 – 19 ديسمبر الجاري.

تعد سباقات الهجن من الموروثات الثقافية التي تنتشر في العديد من دول العالم، حيث تقام هذه السباقات من خلال التنافس بين الإبل المشاركة في هذه السباقات وفق أشواط محددة حسب الأعمار، وتشهد هذه السباقات حضوراً جماهيرياً كبيراً من قبل جميع شرائح المجتمع.

ونظراً لارتباط الهجن بالإنسان منذ القدم، فقد شهد هذا الموروث تناقلاً متواصلاً بين الأجيال، حافظت على ممارسته حتى وقتنا الحالي، مما يعكس اهتمام الإنسان العماني والعربي، واعتزازه بالإبل، وافتخاره بها، كما تمثل المشاركة في السباقات فرصة كبيرة لإبراز قدرة الإنسان ومهارته في تدريب وتهيئة الإبل، حيث تؤدي خبرة وفراسة المشاركين في هذه السباقات دوراً في كسب المراكز المتقدمة، كما أن

للسلالات دوراً في المنافسة، حيث تبرز النوق الأصيلة في صدارة هذه السباقات، ويتسابق كثير من محبي الإبل في اقتنائها وامتلاكها. ويتخلل هذه السباقات كثير من المفردات الثقافية، كالحرف اليدوية والفنون الشعبية، كما تقام المعارض التراثية والفنية، التي تعكس عمق وثقافة هذه السباقات، إضافة إلى الحضور الجماهيري الواسع، الذي تستقطبه هذه السباقات من مختلف شرائح المجتمع وفئاته، وهو انعكاس على حجم المنافسة الشريفة في السباق.

ويأتي هذا الإدراج ليؤكد الاهتمام والرعاية التي تلقاها سباقات الهجن في الإمارات من قبل المؤسسات الحكومية والخاصة، التي تشرف على تنظيم ومتابعة هذه السباقات، التي كان لتعاونها الأثر الإيجابي في تحقيق هذا الإنجاز، بالإضافة إلى المكانة التي يضطلع بها هذا الإرث لدى أفراد المجتمع، وحرصهم على الحفاظ على هذه المفردة الثقافية ودورها الاجتماعي والاقتصادي في حياة البشر على مر العصور.

الأفلاج

قصة الماء والحياة

تعدّ الأفـلاج التي جرى إدراجهـا في القائمة التمثيليّة للتـراث الثقـافي غيـر المـادي باسـم دولـة الإمـارات العربيّـة المتحـدة، مـن التقاليـد الشـفهية والمعـارف والمهارات المتعلقة بتشـييد نظام شـبكة الري التقليديّة في دولـة الإمـارات وصونهـا، بهـدف ضمـان التوزيع العـادل للمياه.

اسـتفاد أبنـاء الإمـارات مـن الأفـلاج قديمـاً في المناطق الزراعيـة، كمنطقة العين، والمناطق الشـرقية والشـمالية والوسـطى، بـري الزراعـة، وهـي ركـن أساسـي في حياة مزارعي المناطـق الريفية والزراعية في دولـة الإمـارات، وقـد شـكّلت الأفـلاج بمختلـف قنواتهـا (السـطحية والجوفية) وسـيلة داعمـة لنقل

الميـاه مـن أعماق الأرض إلى سـطحها؛ لاسـتخدامها في ري بسـاتين النخل، واتبعت طرقـاً لتوزيع المياه بين المزارعين، فهـذه الوسـيلة دلت علـى عبقرية ومهارة هندسـية، حيـث برع الأهالـي في ابتداع هـذا النظام الهندسـي الفريـد، بحفـر هـذه القنـوات المائية عبر العصـور الماضية.

وتاريـخ الأفلاج جـزء لا يتجزأ من تاريـخ أبناء جنوب شـرق شـبه الجزيرة العربية، (دولة الإمارات، سلطنة عمـان، المملكـة العربية السـعودية، اليمـن)، حيث لا يمكن فصل تاريخ الأفـلاج في كل دولة من هذه الدول عـن الأخرى، وتشـير الأدلـة التي توافـرت إلى طرق الـري، واسـتغلال المياه الجوفيـة في دولـة الإمارات، والتـي تعـود إلـى الألـف الأول قبل الميـلاد، حيث تم اكتشـاف العديد من الأفـلاج والآبـار في مواقع أثرية عـدة في منطقة العـين، تعود إلى العصـر الحديدي»، فالأفـلاج لها أصـول ارتبطت بالحضـارات القديمة.

في إنجاز ثقافي جديد للإمارات بإدراج الأفلاج وسباقات الهجن على قائمة اليونسكو

باحثون: توثيق يحفظ الإرث الحضاري والثقافي للأجيال المقبلة

شهدت دولة الإمارات العربية المتحدة، خلال العقود الماضية، تحوّلاً بارزاً في إطار عملية التنمية الثقافية واستدامة التراث، وتعزيز جهود الحفاظ على هوية وثقافة شعب الإمارات، ومنذ عام 2010، وخلال فترة قياسية، نجحت جهود الإمارات في تسجيل 11 عنصراً وموقعاً من ركائز التراث الوطني، المُتفرّدة في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي المادي وغير المادي في اليونسكو، باعتبارها تراثاً ثقافياً إنسانياً يخصّ البشرية.

وأكدت معالي نورة بنت محمد الكعبي، وزيرة الثقافة والشباب رئيسة اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، أن دولة الإمارات تلعب دوراً مؤثراً في الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي، وصون المفردات والعناصر المحلية، من خلال إدراجها على القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي، لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو»، عبر التعاون مع الدول الصديقة والشقيقة، لحفظ التراث الإنساني المشترك.

وأوضحت معاليها، أن دولة الإمارات حققت إنجازاً ثقافياً جديداً بإدراج الأفلاج وسباقات الهجن، على القائمة ليصل مجموع العناصر التراثية المدرجة إلى 11 عنصراً، مقابل 9 في العام الماضي، مشيرة إلى أن دولة الإمارات تواصل تنسيق الجهود مع مختلف الدول، من أجل تسجيل مزيد من العناصر التراثية، وتعريف العالم بالموروث الإماراتي الأصيل.

وقالت عائشة راشد الحصان، مدير مركز التراث العربي: إن دائرة أبوظبي للسياحة الثقافية لديها خبرة كبيرة في موضوع الإدراج، كما لديها خبرة في كيفية التعامل مع التراث الثقافي غير المادي،

وإدراجه ضمن قوائم عناصر اليونسكو، حيث استطاعت دولة الإمارات خلال 10 سنوات، إدراج 11 عنصراً من التراث الثقافي غير المادي على قوائم اليونسكو، حيث تم هذ العام إدراج الأفلاج وسباق الهجن، وقد شارك معهد الشارقة للتراث، في هذا الملف، وقد قمنا بدعم ملف الأفلاج، خاصة أن الأفلاج تتميز بها دولة الإمارات، لاسيما منطقة العين، فهي نظام ريّ قديم جداً، وقد يصل إلى آلاف السنوات، كما يوجد كثير من الأفلاج في المنطقة الوسطى بالشارقة، فلذلك نحن سعداء بإدراج هذا العنصر المهم على قوائم اليونسكو، وإن تتويج إدراج هذه العناصر التراثية الأصيلة في اليونسكو جاء بعد مسيرة طويلة في مجال تسجيل مُقومات التراث الإماراتي، وإحيائه وتوثيقه واستدامته، باعتباره إرثاً حضارياً وثقافياً يجب الحفاظ عليه للأجيال المُقبلة، إلى جانب تسليط الضوء عليه، وتعريف العالم به اليوم.

كما نتوقع أن تشهد الفترة القادمة إدراج كثير من عناصر التراث الإماراتي على هذه القوائم، لأن الإمارات شهدت في العقود الماضية، تحولاً مهماً في إطار نجاح استراتيجية إحياء التراث، والحفاظ على ممتلكاتها الثقافية، عبر تنمية التراث الثقافي واستدامته، وتعزيز الجهود للحفاظ على هوية شعب الإمارات وثقافته، التي أرسى معالمها المؤسس، المغفور له، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، لتتحول الإمارات اليوم بفضل ذلك إلى واحدة من أكثر دول العالم تطوراً حضارياً وتأثيراً دولياً إيجابياً في الوقت ذاته.

وقال محمد خليفة المبارك، رئيس دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي: إن إدراج الأفلاج وسباق الهجن على القائمة التمثيلية لليونسكو للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، هو إنجاز كبير، يُعزز مكانة الإمارات حاضنةً للموروث الفريد والغني، ويبرز اعتزازنا بهويتنا الوطنية وموروثنا الثقافي، وتتشرف دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي، بدعم الجهود التي تقف وراء هذا الإنجاز، كجزء من عملنا المستمر حفاظاً على التقاليد والممارسات الثقافية الأصيلة.

بدوره، قال سعود عبدالعزيز الحوسني، وكيل دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي: اكتسبت أبوظبي سمعة طيبة كوجهة عالمية متميزة، مع جاذبية لا تضاهى

تدعمها مجموعة من التقاليد الثقافية الأصيلة التي لاتزال قائمة حتى اليوم، ما يثري حياتنا حاضراً ومستقبلاً. هذا التراث الثمين غير المادي، هو عنصر أساسي في عرض القيمة الخاص بنا لكل من الزوّار والمقيمين على حد سواء، وإدراج هذين العنصرين الإضافيين للأفلاج وسباق الهجن في قائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، يعد علامة فارقة من علامات الإنجاز الذي نعتز به وطنياً وإنسانياً.

وأضاف الباحث فهد المعمري، أن تسجيل عناصر التراث غير المادي في قائمة التراث العالمي «يعد اعترافاً دولياً بأهميتها. كما أنه يدخلها في سياق التاريخ الإنساني، كما أنه أمر مهم للغاية، كونه يدفعنا إلى الحفاظ على مفردات البيئة المحلية لأجل الأجيال القادمة، ومنذ عام 2010، وخلال فترة قياسية، نجحت جهود الإمارات في تسجيل 11 عنصراً في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي المادي وغير المادي في اليونسكو، باعتبارها تراثاً ثقافياً إنسانياً يخص البشرية، كما أن تسجيل سباق الهجن والأفلاج على قائمة اليونسكو هذه الأيام هو إنجاز إماراتي يحسب لكل الجهات والمؤسسات التراثية في الدولة، الذين يعملون كفريق واحد من أجل الحفاظ على التراث الإماراتي غير المادي للأجيال القادمة وصونه، كما أنني أتوقع أنه في الفترة القادمة سوف يكون هناك كثير من الملفات، سواء الفردية أو المشتركة؛ لتسجيل عناصر أخرى على القائمة التمثيلية للتراث غير المادي في اليونسكو».

وأضافت الباحثة فاطمة المغني أن إدراج الأفلاج وسباق الهجن على القائمة التمثيلية لليونسكو للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، هو إنجاز يحسب للجهات التراثية في دولة الإمارات، خاصة أننا نجحنا خلال 10 سنوات في تسجيل 11 عنصراً إماراتياً، وهذا إنجاز ثقافي كبير، أصبح التراث غير المادي الذي كان ينظر إليه باعتباره أقل أهمية من المكتوب، في بؤرة اهتمام الدول، وفي موضع عناية «اليونسكو» التي خصصت له قائمة تحميه وتصونه من العاديات. وفي الإمارات وغيرها من دول الخليج، التي شهدت وتشهد تغيرات مجتمعية عميقة ومتسارعة، يواجه التراث بعض هذه العاديات، لعل أبرزها خطر الاندثار والضياع، وربما التشويه والتحريف. من هنا تكتسب جهود

الحفاظ على الذاكرة والتراث والثقافة الشفاهية أهمية مضاعفة، وإذا ما أضفنا رحيل كثير من الرواة وكبار السن، شهود العيان على الذاكرة القديمة، يمكن للمرء أن يفهم معنى أن تبذل الدولة كل جهودها لتسجيل مفردة من تراثها على قائمة اليونسكو.

وقال الباحث الدكتور سالم الطنيجي: بالنسبة للإمارات، تبرز مسألة الهوية الوطنية وترسيخها بشكل ملحّ، والتراث بكل تجلياته مكون أساسي من مكونات هذه الهوية، وبالتالي فإن الحفاظ عليه كإرث للأجيال القادمة، كما أنها تمثل أساساً مهماً لهوية شعب دولة الإمارات العربية المتحدة، جنباً إلى جنب مع استراتيجيات التطوّر الحضاري والانفتاح الثقافي، وهو النهج الذي سار عليه، المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، كما أن إدراج الأفلاج في قائمة اليونسكو من شأنه أن يسهم في تعزيز استمرارية هذه الفنون التراثية الأصيلة، وتسليط الضوء على التراث الثقافي لدولة الإمارات، وتشجيع التنوع الثقافي والإبداع البشري والحوار بين الحضارات.

وقال الباحث أحمد محمد عبيد إنّ إدراج هذه العناصر التراثية لدى اليونسكو «سيسهم في تعزيز الترابط بين أبناء المجتمع، وتدعيم الجذور الثقافية لهم، كما يشكل حافزاً قوياً للجمعيات التراثية لتقديم عروض التغرودة في المناسبات الاجتماعية والوطنية والمسابقات الشعرية، لاسيما تلك التي تعقد أثناء مهرجانات التراث السنوية، أو سباق الهجن، علاوة على أهمية هذا الإدراج في تطوير هذا اللون الشعري، بحيث يتناول موضوعات مجتمعية معاصرة. وبالفعل فقد تم دمج بعض قصائد التغرودة الشعرية مع بعض عناصر التراث الثقافي غير المادي الأخرى، مثل فن العيالة». فالتراث غير المادي هو فخر الدول والمجتمعات والجماعات، وهو الذي يسهم في خلق الاحترام والتفاهم والسلام بين الشعوب، ويساعدها على تحقيق التنمية المستدامة. فالصون لا يعني تجميد التراث، وإنما يعني نقل المعارف والمهارات والمعاني والقيم من جيل لآخر، وهذا هو الذي تركز عليه اتفاقية اليونسكو للعام 2003؛ لذا فإن التسجيل هو الخطوة الأولى التي ينبغي أن تتبعها خطوات جادة للحفاظ على هذا التراث، وهنا تبرز مسؤولية الدولة وهيئاتها المتخصصة.

القيمة العالمية للتراث الإماراتي

لقد أصبحت قضية التراث أكثر مما مضى قضية نتقاسمها، ويمكن القول إن مستقبل الإنسان العربي رهين بقدرتنا على جعل التراث قنطرة متينة من أجل مواجهة تحديات العصر، لترسيخ قيم الحوار والتضامن والسلم.

الدكتورة مينة المغاري
خبيرة في التراث – لجنة المدن والقرى التاريخية (إيكوموس)

وإذ أنوه بالذين سهروا على إعداد هذا العدد الخاص بالتراث الإماراتي، المصنّف تراثاً عالمياً ضمن لائحة اليونسكو، فهو يأتي في زمن مفصلي، أربك الدول، وأرهق الشعوب، وزحزح كثير من القيم المجتمعية والإنسانية.. زمن كورونا، الذي ما فتئنا نمتحن فيه أشياء عدة، ونعيد النظر في سلوكاتنا التي اغتالت كثيراً من ماضينا.

عادت بي ذاكرتي إلى أكثر من عشر سنوات مضت، عندما حللت بدولة الإمارات للمرة الأولى؛ أبهرتني الأبنية العالية، والشوارع الواسعة، فظننت أن الإماراتيين قد أضمروا تراثهم، إلا أنني سرعان ما لمست مدى العناية بقضايا الثقافة والتراث، من خلال فعاليات ثقافية، ومبادرات طلائعية، واكتشفت ما تزخر به البلاد من تاريخ وتراث مملوء بالدلائل.

بعد ذلك تابعت الأخبار عن التراث الإماراتي، سواء المادي أو غير المادي، وأدركت مدى انخراط كل من المؤسسات والجماعات في قضاياه. وكما تدعو إليه منظمة اليونسكو، وتؤكده، في إطار تدابير صون التراث، يتم إشراك الجماعات والمجموعات مع المؤسسات، وذلك من خلال الإجراءات الرامية إلى ضمان استدامة التراث، خصوصاً الثقافي غير المادي، وذلك بعد تحديده وتوثيقه، وإجراء البحوث بشأنه، ثم المحافظة عليه وحمايته، وتعزيزه، وإبرازه، ونقله.

ويهتم معهد الشارقة للتراث بصفة لافتة، ومن خلال استراتيجية واضحة، بالتعريف بالتراث والتحسيس به؛ فمن خلال مجموع من الأنشطة العلمية والمهرجانات، يتم التأكيد المستمر بأن التراث ليس معطى متحفياً من الماضي فحسب، بل هو حقيقة وجودية في يوميات المجتمع والثقافة والتنمية المستدامة، ولعل من أهمها فعاليات «أيام الشارقة التراثية»، التي تنطلق في شهر إبريل من كل عام، بالتزامن مع احتفالات يوم التراث العالمي، الذي تنظمه اليونسكو في الـ18 من إبريل. وتمثل أيام الشارقة التراثية حدثاً حيوياً بالنسبة إلى التراث الثقافي الإماراتي، بما توفره من مناخ مناسب لتعريف الجيل الحالي والأجيال القادمة بأصالة الماضي، وتمكينهم من استكشاف ذلك الزمن بكل ما فيه من عادات وتقاليد أصيلة، تعبر عن الموروث الشعبي للأجداد، كما تعد انعكاساً واقعياً

لهوية شعب دولة الإمارات، وتجسيداً حياً لعراقة تاريخها. وتعد إمارة الشارقة رائدة في الترميم والمحافظة على المعالم التاريخية، إذ أصبح فيها الوعي بالتراث قضية راهنة حاضرة في مجالات المعرفة والاستثمار. وحسب الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، فخلال أيام الشارقة التراثية يتم استحضار أصالة الماضي، «ونطلع الجيل الجديد على تاريخ الأجداد، ونقدم له تعريفاً بتلك الحرف والمهن والعادات والتقاليد، ونعرض له بعض محطات وملامح حياة الآباء والأجداد».

فالتراث في دولة الإمارات أصبح يمارس سلطاناً حقيقياً، ليس ضمن الجماعات فحسب، بل كذلك في المؤسسات التي تعنى به. وتتم مواكبة الجهود للتوعية على الصعيدين المحلي والوطني، وحتى الدولي؛ للاضطلاع بأهمية التراث الثقافي غير المادي، كما تنص عليه اتفاقية صون التراث غير المادي، التي صدرت عن منظمة اليونسكو في باريس يوم 17 أكتوبر 2003.

وطبقاً لهذه الاتفاقية، تم تعريف التراث الثقافي غير المادي، بأنه «الممارسات، والتصورات، وأشكال التعبير، والمعارف، والمهارات وما يرتبط بها من آلات، وقطع ومصنوعات، وأماكن ثقافية، والتي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحياناً الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير المادي ينتقل من جيل إلى جيل، ويقع بعثه من جديد من قِبل الجماعات والمجموعات طبقاً لبيئتهم وتفاعلهم مع الطبيعة ومع تاريخهم، وهو يعطيهم الشعور بالهوية والاستمرارية، بما يسهم في تطوير احترام التنوع الثقافي، والإبداع الإنساني».

وفي السياق نفسه، تم اعتماد اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، على أن كل ثقافة من الثقافات تمثل مجموعة فريدة من القيم التي لا غنى عنها، إذ إن كل شعب من الشعوب يتخذ تقاليده وأشكال تعبيره وسيلة؛ ليثبت وجوده في العالم، وبهذا المعنى، يشير الإعلان إلى أن الهوية الثقافية، والتنوّع الثقافي، لا ينفصمان، وأن الاعتراف بوجود أشكال متنوعة من الهويات الثقافية، حيثما تتعايش مختلف التقاليد، هو ما يشكل جوهر التعدد الثقافي.

ولا يخفى على أحد اليوم ما للتراث غير المادي من مقومات للجذب السياحي، فهو يمكّن من توظيف كنوز هذا الأخير، من خلال إدراجه في الفعاليات والمهرجانات المحلية والدولية، وأيضاً إعادة إنشاء فضاء للأنشطة الشعبية التي تعكس هذا التراث.

وقد لوحظ خلال مرحلة إعلان حالة الطوارئ الصحية من جراء الوباء كوفيد19، انتعاش العديد من المضامين التراثية والفنية غير المادية، من

خلال تداول المواطنين الأشعار والأمثال والحكايات والأغاني القديمة؛ مما يدل على حيوية هذا التراث، الذي لايزال يؤدي وظائفه إلى اليوم.

ولما كان من بين توصيات اليونسكو ضرورة الاهتمام بالتراث بشقيه، من خلال الدراسات الأكاديمية والبحوث، فهذا العدد الخاص من مجلة مراود، يأتي في أوانه، وهو تعبير عن واجب أخلاقي أوصت به منظمة اليونسكو، ووضعته على عاتق جميع المجتمع البشري. والمادة 14 من اتفاقية منظمة الأمم المتحدة (اليونسكو)، تنص على أهمية التثقيف والتوعية، وتعزيز القدرات. ومن شأن الدراسات التعريف بأهمية التراث، والتعريف بالمجهودات المبذولة من أجل جرده وتوثيقه والتعريف به وتثمينه، وكذا

صيانته. ولكون التراث هو تاريخ الشعوب وكيانها، وجب التأكيد أن الأمم بلا ماض أمم بلا حاضر وبلا مستقبل.

وقد نصت المادة (7) على ضرورة إيضاح وتفسير أهمية التراث في كل تجلياته في تطوير المجتمعات الحديث. والحِفاظُ على التراث وعلى التاريخ هو الحِفاظ على الكينونة والهُويَّة، على الخُصوصيَّة التي منحتْنا وجودَنا بوصْفِنا أمَّة، وهو الحفاظ على السبيل الذي يضمن استمرارَنا وصحوتنا.

إننا نعيش اليوم في عالم مترابط الأجزاء، أثبتت فيه الثقافة قدرتها على تحويل المجتمعات؛ فالتجليات المتنوعة للثقافة تثري حياتنا اليومية بطرائق لا تُعد ولا تُحصى. وفي حين يمثل التراث مصدراً للهوية والتماسك في المجتمعات التي تواجه تحولات مربكة، وتعاني انعدام الاستقرار الاقتصادي، يسهم الإبداع في بناء مجتمعات منفتحة وجامعة وتعددية. ويساعد كل من التراث والإبداع على إرساء الأسس اللازمة لنشوء مجتمعات معرفة مفعمة بالحياة، وتزخر بأوجه الابتكار والازدهار.

ونحن جميعاً في العالم العربي، نتقاسم العقيدة نفسها والإيمان نفسه، بأن مستقبلنا الإنساني رهين بقدرتنا على إرساء منظومة للتراث متطورة، ومنفتحة، ومتماسكة من أجل مواجهة تحديات ا لعصر .

فهنيئاً لمن سهروا على إعداد هذا العدد الذي يعدّ إسهاماً جليلاً في التحسيس بمدى أهمية العمل المستمر؛ من أجل الوعي الجماعي بالقيمة العالمية للتراث الإماراتي المادي وغير المادي.

أيام الشارقة التراثية

أول ملف عربي مرشح في لائحة اليونسكو لأفضل ممارسات صون التراث الثقافي

عزيز رزنارة
مستشار تطوير
معهد الشارقة للتراث

انطلاق الفكرة وتطورها:

في 2015 كانت «أيام الشارقة التراثية» قد وصلت مرحلة من النضج والوجاهة، مما جعلها تتبوّأ موقعاً مهماً في لائحة المهرجانات الثقافية العربية، خصوصاً المتعلقة بالتراث الثقافي، بل أخذ هذا التألق صبغة عالمية، بحكم مشاركة العديد من الدول العربية وغيرها في مختلف برامج «الأيام»، سواء الفكرية أو الاحتفالية، التي كانت تحظى بإقبال كبير من الزوّار المحليين من مختلف الجنسيات، وكذلك حضور بعض الضيوف البارزين من الباحثين والعاملين في حقل التراث الثقافي؛ لتنشيط بعض الفقرات الثقافية والفكرية للمهرجان. وكان الجزء الأكبر من فعاليات «الأيام» يقام بفضاء قلب الشارقة الفسيح، الذي يعدّ متحفاً مفتوحاً لما كانت عليه الشارقة القديمة عمراناً وممارسات اجتماعية، كما أن المدن الأخرى لإمارة الشارقة، مثل: الذيد، خورفكان، دبا الحصن، كلباء، الحمرية... وغيرها، كانت تحتضن جانباً من فعاليات الأيام، وذلك لتقريبها إلى ساكنة هذه المناطق.

ومن هنا جاءت فكرة تسجيل فضاء الأيام ضمن اللائحة التمثيلية لليونسكو، واستقر الرأي في البداية على ترشيح «ساحة العرصة»، كميدان يحتضن جزءاً من البرنامج الاحتفالي، وذلك أسوة ببعض الساحات العربية والدولية، مثل ساحة «جامع الفنا بمراكش». وبتوجيه من رئيس المعهد، بضرورة الاستعانة بخبير دولي له دراية بإعداد ملفات تسجيل عناصر التراث الثقافي غير المادي في لوائح اليونسكو، وبعد استشارة العديد من الخبراء العرب في هذا المجال، استقر الرأي على إسناد هذه المهمة إلى الدكتور، الراحل، مصطفى نامي، رئيس مصلحة التراث الثقافي غير المادي في إدارة التراث التابعة لوزارة الثقافة المغربية، نظراً لخبرته في إعداد ملفات العناصر التي تم تسجيلها باسم المغرب، أو تلك التي سجلت باسم مجموعة من الدول، كما أنه شارك في إعداد أغلب الملفات التي تم تسجيلها كذلك باسم دولة الإمارات العربية المتحدة.

وتم الاتفاق مع الخبير على تنظيم مجموعة من ورشات التدريب والتكوين لفائدة بعض أطر وموظفي المعهد. وكان اللقاء الأول خلال فعاليات أيام الشارقة التراثية سنة 2015، حيث التقى الخبير بعض موظفي المعهد، من خلال ورشة خاصة بتعريفهم بمفهوم التراث الثقافي غير المادي، عبر تفسير بنود وأهداف اتفاقية 2003 لليونسكو، الخاصة بصون التراث الثقافي غير المادي. كما كانت فرصة ممتازة؛ لكي يطلع الخبير على مجمل فعاليات أيام الشارقة التراثية، وخصوصاً «ساحة العرصة»، التي كانت آنذاك موضوع مقترح التسجيل. وقد وعد الخبير بدراسة كل المعطيات التي قدمت له، وتم الاتفاق على اللقاء في الورشة الثانية التي ستكون في المغرب.

وبالفعل زار وفد مهم من معهد الشارقة للتراث، برئاسة رئيسه د. عبدالعزيز المسلّم، الذي استقبل من طرف وزير الثقافة المغربي، آنذاك، السيد أمين الصبيحي، كما تم خلال هذه الزيارة التوقيع بمقر إدارة التراث بالرباط، على اتفاقية إطار للتعاون ولتبادل الخبرات بين المعهد والمصالح التابعة لإدارة التراث بالمغرب. وتم تنظيم ورشة في مقر إدارة التراث، لفائدة موظفي المعهد أعضاء الوفد. وخلال هذا اللقاء الذي أطره الدكتور الراحل مصطفى نامي، عبّر الخبير عن تحفظه حول العنصر المراد تسجيله؛ أي ساحة العرصة، في لوائح التراث الثقافي غير المادي؛ لأنه لا تنطبق عليه شروط التسجيل، بحكم أن الساحة لا تعرف طيلة السنة سوى فعاليات الأيام التي تدوم 3 أسابيع، وبالتالي ليس بها نشاط ثقافي أو فني على طول السنة، بينما سيكون من الأنسب ترشيح عنصر «أيام الشارقة التراثية»، لتسجيله ضمن لائحة «أفضل الممارسات لصون التراث الثقافي غير المادي»، وهذا بالفعل هو ما قامت به وتقوم «أيام الشارقة التراثية» من انطلاقتها.

وبعد استشارة السيد رئيس المعهد، واطلاعه على جميع المعطيات الجديدة والمقترحة من طرف الخبير، وأهمها أن هذا الملف سيكون أول ملف عربي يطرح للتسجيل في لائحة أفضل الممارسات؛ لأنه لم يسبق أبداً لأي دولة عربية أن تقدمت بملف لهذه اللائحة المهمة. وبعد موافقة رئيس المعهد على مقترح الخبير، أصبح موضوع الملف قيد الإعداد هو تسجيل «أيام الشارقة التراثية»

ضمن لائحة اليونسكو لأفضل الممارسات لصون التراث الثقافي غير المادي. وتم الاتفاق خلال هذه الزيارة على تشكيل لجنة من أطر وموظفي المعهد؛ لإعداد ملف التسجيل ومتابعته، كما تمت برمجة انطلاق أول ورشة لتأطير أعضاء اللجنة بتاريخ 14 و15 ديسمبر 2015، وذلك بمعهد الشارقة للتراث، بحضور الخبير الدكتور مصطفى نامي، رحمه الله، وبذلك تكون قد انطلقت عملية إعداد ملف تسجيل أيام الشارقة التراثية في لائحة اليونسكو لأفضل الممارسات لصون التراث الثقافي غير المادي.

الخطوات التمهيدية لإعداد الملف

تشكل هذه الورشة، التي عقدت بمعهد الشارقة للتراث، التي حضرها أعضاء لجنة إعداد الملف، ونشطها الخبير الراحل مصطفى نامي الخطوة الأولى في مسلسل إعداد الملف، التي دامت يومين، حيث خصص اليوم الأول منها لتقديم مفهوم التراث الثقافي غير المادي، عبر تفسير بنود وأهداف اتفاقية اليونسكو 2003 لصون التراث الثقافي غير المادي، وتم خلال هذا اليوم التطرق بالتفصيل إلى النقاط الآتية:

- تحديد التراث الثقافي غير المادي وتعريفه بإشراك الجماعات والمجموعات والأفراد.
- جرد وتوثيق التراث الثقافي غير المادي، باعتماد المنهجيات العلمية، وباحترام الإجراءات الواردة،

خاصة في المادتين 12 و15 من اتفاقية اليونسكو.

- القيام بأبحاث علمية وأكاديمية، باعتبارها إجراءات تدخل ضمن تدابير صون التراث الثقافي غير المادي.
- حماية التراث الثقافي غير المادي، وتعزيزه وإبرازه ونقله للأجيال الصاعدة، عبر التعليم النظامي وغير النظامي.

وقد ارتكزت هذه النقطة بالخصوص على مفهوم الصون، ارتباطاً بمشروع تسجيل أيام الشارقة التراثية ضمن سجل أفضل ممارسات الصون الذي تتيحه اتفاقية اليونسكو للدول الأطراف، حيث انصب الحديث على إبراز أهمية «الأيام» التي انطلقت منذ أكثر من 12 سنة قبل هذا الاجتماع، في إحياء العديد من عناصر التراث الثقافي الإماراتي، كما أسهمت أيضاً في تعزيز هذا التراث وإبرازه وتقديمه للناشئة، التي تعيش قطيعة عميقة مع موروثها الثقافي، بفعل الطفرة الاقتصادية والعولمة، وتغيير أنماط الحياة.

كما تناولت الورشة في الجلسة نفسها، موضوع تقديم وشرح المعايير التسعة التي حددتها اليونسكو، عبر اتفاقية 2003، التي يجب استيفاؤها عند تقديم طلب تسجيل برامج أو أنشطة ضمن سجل أفضل ممارسات صون التراث الثقافي غير المادي.

اليوم الثاني من هذه الورشة المهمة، تم تخصيصه لمناقشة وشرح المسطرة المتبعة لتقديم ملفات الترشيح المتعلقة بالتسجيل ضمن أفضل ممارسات صون التراث الثقافي غير المادي. وقد تمحور النقاش بصفة خاصة حول المدخلات الآتية:

- مكونات الملف من استمارة معبأة وشريط وثائقي وصور ومرفقات أخرى.
- منهجية تحرير الاستمارة، والشروط اللغوية والمنهجية التي يجب الالتزام بها.
- مناقشة الجوانب الإيجابية والسلبية وتحديدها للملف «أيام الشارقة التراثية»، المرشح للتسجيل ضمن أفضل ممارسات صون التراث الثقافي غير المادي لدى اليونسكو.
- تحديد المادة الضرورية لتكوين الملف.

وفي هذا الإطار تمت في نهاية الورشة، وكنتيجة لأعمالها، صياغة المهام المزمع القيام بها خلال الفترة المتبقية قبلَ أجلِ إيداع ملف التسجيل لدى اليونسكو، وانطلاقاً من تلك المهام تمت صياغة التوصيات حسب المحاور الآتية:

- تحديد المهام الخاصة بإعداد الملف.
- توزيع المهام بين أعضاء لجنة الإعداد والمتابعة.
- الجدولة الزمنية لتحضير الملف.

مراحل إعداد ملف تسجيل الأيام:

مباشرة بعد انتهاء الورشة التدريبية التي أفضت إلى تحديد المهام وتوزيعها بين أعضاء لجنة الإعداد والمتابعة، انطلقت الأشغال لتطبيق وتنفيذ التوصيات التي خرجت بها الورشة، والتي أفضت إلى توفير المعلومات والوثائق الأساسية والضرورية لصياغة الملف. وبقي بعد ذلك أهم عملية في هذا المسار، وهي صياغة وتحرير الاستمارة، وتنظيم الوثائق

والمستندات المرفقة بالملف بمختلف أنواعها، الورقية أو السمعية البصرية، وذلك لأن إنجاز هذه العملية، ومدى مطابقتها لتعليمات اليونسكو، هي العامل الوحيد الذي يؤخذ بعين الاعتبار عند مناقشة الملف من طرف لجنة التقييم التابعة لليونسكو. اللجنة لا تناقش صلاحية العنصر من عدمه كتراث ثقافي، بل تركز بالأساس على مدى مطابقة ملف تقديم هذا العنصر لمقتضيات وتعليمات اليونسكو المحددة بكل وضوح في لائحة التعليمات.

وكما تمت الإشارة إلى ذلك سابقاً، فإن هذا الملف المتعلق بـ«أيام الشارقة التراثية»، سيكون هو الأول من نوعه بالنسبة إلى العالم العربي، الذي لم تقدم فيه أي دولة بعد طلباً للتسجيل في هذه اللائحة الخاصة بأفضل الممارسات، كما أنه من اللافت للنظر أن أغلب الملفات السابقة التي قدمت في هذه اللائحة، وتم تسجيلها، تخص مجالاً أو عنصراً واحداً من التراث الثقافي غير المادي، بينما ملف «أيام الشارقة التراثية»، يضم ما لا يقل عن 13 مجالاً من أنواع التراث الثقافي، ويضم كل مجال ما لا يقل عن 5 إلى 10 عناصر، مما يجعل مجمل العناصر الحاضرة في هذا الملف تراوح بين 60 و80 عنصراً، وهو أمر يتطلب جهداً كبيراً من ناحية الجرد والتوثيق، ولكنه ميزة استثنائية للملف، إذا تم تأسيسه وصياغته على الوجه الأكمل.

وبعد اطلاع الخبير المكلف تدبير الملف على ما توصلت إليه لجنة الإعداد والمتابعة بخصوص مستجدات الملف، وبالأخص ما يتعلق بملء استمارة الترشيح، وبالنظر إلى التجارب السابقة للخبير في إعداد العديد من الملفات، والمشاركة في تقييم بعضها، في إطار اليونسكو، فقد أبدى الملاحظات الآتية:

- استمارة التسجيل هي جزء فقط من الملف الذي يجب أن يضم العديد من الوثائق المهمة الأخرى، التي يكون دورها حاسماً في مصيره، ومنها على الخصوص شريط الفيديو والصور الفوتوغرافية؛ لذا يجب إعطاء العناية الكافية لإخراج الشريط وتحرير النص والحوار المرافق له. ورغم قصر مدته التي لا تتعدى 10 دقائق، فإن أغلب الملفات التي قدمت لليونسكو تتطلب إعداد شريط الفيديو الخاص بها أسابيع عديدة من التصوير والتركيب، قبل الوصول إلى الصيغة التي حددتها لجنة فحص الملفات بدقة، وأعطت عنها معلومات كافية في لائحة التعليمات التي تمت مناقشتها بإسهاب خلال ورشة التدريب الأخيرة بالمعهد. وبالنظر إلى طبيعة هذا العمل الفني، فإن الإشراف عليه وتنفيذه يجب أن يوكل إلى مخرج تلفزيوني محترف متخصص في الأشرطة الوثائقية. وتجدر الإشارة إلى أنه يجب وضع سيناريو محدد من طرف لجنة صياغة الملف مسبقاً، يتم على إثره تحديد المشاهد التي يجب تصويرها، والأشخاص الذين يظهرون في الفيلم للأدلاء بشهاداتهم أو تعاليقهم.

- الأهمية نفسها كذلك يجب إعطاؤها للصور العشر المطلوبة من لجنة تقييم الملف، والتي حددت بشكل دقيق الخصائص التقنية للصور، من ناحية الحجم والجودة والموضوع. ولابد من مصور محترف كذلك لالتقاط هذه الصور حسب المواصفات المذكورة.
- يجب توفير لائحة بكل المطبوعات والمنشورات، سواء الورقية منها أو السمعية والبصرية (أشرطة سمعية أو فيديو)، التي نشرها المعهد منذ إنشاء «أيام الشارقة التراثية»؛ لإظهار جهوده فيما يخص التوثيق والنشر لعناصر التراث الثقافي. وتكون هذه اللائحة، وبعض العينات من المنشورات، ضمن الوثائق المرفقة بالملف.
- يجب تحديد لائحة بالجماعات والمجموعات التي يجب أخذ موافقاتها، سواء مكتوبة أو موثقة على شرائط فيديو، وذلك حسب التعليمات الواضحة في هذا الشأن للجنة التقييم التابعة لليونسكو.

وتطبيقاً لهذه الملاحظات القيمة التي أبداها الخبير المكلف الملف، فقد تم التواصل مع هيئة تلفزيون الشارقة، التي انتدبت مخرجاً للمساعدة على إنتاج شريط الفيديو عن «الأيام»، وذلك حسب تعليمات وتوصيات اليونسكو الخاصة بهذه اللائحة، وتمت، بعد جلسات عمل عدة باستديوهات تلفزيون الشارقة، عملية المونتاج التي استهلكت ساعات عدة أضيف إليه بعد ذلك التعليق الصوتي بإحدى لغتي العمل باليونسكو، وهما الإنجليزية والفرنسية.

كما كلف مصور المعهد، الذي له خبرة طويلة في تصوير فعاليات «الأيام»، تحضير مجموعة من الصور الفوتوغرافية عن المهرجان، والتي سيتم من خلالها انتقاء 10 صور لترافق الملف. كما تم وضع جرد كامل بمنشورات المعهد منذ نشأته إلى حين تاريخ إعداد الملف، والتي لها علاقة بالتراث الثقافي غير المادي.

وفيما يتعلق بتحديد لائحة الأفراد والجماعات والمجموعات المعنية بهذا التراث، والتي يجب أخذ موافقاتها، فقد تم استغلال دورة أيام الشارقة التراثية لتلك السنة؛ لجمع تلك الموافقات، والتي شملت ما هو مكتوب أو موثق على شرائط فيديو، وتوجد هذه الموافقات الموقعة كملحق ضمن ملف ا لتسجيل .

من التصوير، لتلخصها في شريط من 10 دقائق، بعد ذلك انكب الخبير المكلف الملف، بمساعدة بعض أطر المعهد، على عملية تحرير وملء استمارة التسجيل، حسب توصيات اليونسكو في هذا الصدد، وبذلك اكتمل الملف الذي تمت تهيئته وترتيبه بشكل لائق قبل إرساله إلى اليونسكو، قبل الموعد المحدد لاستقبال ملفات الترشيح لمختلف لوائح اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي. وقد تم وضع الملف لدى هيئة اليونسكو بباريس من طرف المندوب الدائم لدولة الإمارات العربية المتحدة لدى اليونسكو، بينما وضعت نسخة أخرى من الملف لدى وزارة الثقافة بأبوظبي، بصفتها الجهة الرسمية التي تمثل الدولة لدى اليونسكو.

وتنتظر الملف الآن عملية التقييم من طرف لجنة اليونسكو، التي قد تبدي بعض الملاحظات، وتطلب بعض الإضافات، ثم بعد ذلك توصي المؤتمر العام القادم لليونسكو بتسجيل الملف ضمن لائحة أفضل ممارسات صون التراث الثقافي غير المادي.

«اليونسكو» تحاول اللحاق به

الإمارات كنز معرفي تاريخي للبشرية

فاطمة سلطان المزروعي
رئيس قسم الأرشيف الوطني

في عام 2017م، صرّحت المديرة العامة لليونسكو، إيرينا بوكوفا، بعد جولة في واحة العين، شاهدت خلالها مواقع تراثية عدة، مثل قصر المويجعي وقلعة الجاهلي. حيث قالت: «يشهد موقع التراث العالمي في العين على غنى التقاليد الثقافيّة في دولة الإمارات العربيّة المتحدة، واليونسكو ملتزمة العمل يداً بيد مع هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة؛ لتسخير هذه المواقع على أكمل وجه في خدمة التماسك الاجتماعي والهويّة والكرامة، بالإضافة إلى النمو الاقتصادي».

المواقع التي أدرجت في العين في قائمة التراث العالمي لليونسكو، أربعة، هي: قبور جبل حفيت التي تعود إلى العصر البرونزي، وحديقة آثار الهيلي، وبدع بنت سعود التي تعود لما قبل التاريخ، وواحات العين الخصبة الست، بما فيها واحة العين. هذا الحدث العالمي أوضح بما لا يدع مجالاً للشك أن الإمارات تحفل بكنوز ثقافية وتراثية وأثرية غزيرة، وتفصح صحراؤها وواحاتها وجبالها عن كثير من الأسرار أمام الباحثين وعلماء الآثار والتنقيب والإحاثة، حتى باتت وجهة لكثير من المهتمين بعلوم الحفريات والبحث عن بقايا الأمم والحضارات البشرية الغابرة. باستعراض لأهم الكشوف الأثرية، سنجدها حافلة بالكنوز المعرفية التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وهذه الكشوف تحمل كثيراً من الحقائق عن موقع الإمارات الجغرافي، حيث تلتقي على ثراها حضارات وأمم مختلفة، فضلاً عن تطور إنسانها الذي كان متصلاً بالعالم الخارجي. عمليات البحث والتنقيب عن الآثار بدأت منذ وقت مبكر، حتى قبل قيام

الاتحاد بين الإمارات، وتكتسب هذه الكشوف زخماً وثراء وعمقاً تاريخياً يحتاج إلى سنوات من الدراسة والتعلم.

الدكتور حمد بن صراي، الأستاذ في قسم التاريخ والآثار بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، قال: «الباحث في تاريخ وآثار الإمارات، يجد أن هناك ثراء في المواد الأثرية المكتشفة داخل دولة الإمارات، فالتنقيب الأثري بدأ عام 1950، واكتشفت مئات المواقع الأثرية، التي أثبتت وجود وحدة حضارية ثقافية وتراثية في دولة الإمارات، أوضحتها بنية آثارها».

هذه الكشوف حملت إجابات للخبراء والدارسين والعلماء في المجتمعات التي عاشت، والتي تطورت واتصلت بمختلف الحضارات والأمم، على سبيل المثال الكشوف في مليحة بالشارقة تعود إلى فترة ما بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الثالث الميلادي. وقد وجدت جرار الأمفورا الإغريقية، التي اعتبرها العلماء دليلاً واضحاً على النشاط التجاري بين السكان والحضارة الإغريقية. فضلاً عن هذا اكتشف العلماء أدوات حجرية تعود إلى 150 ألف سنة، والكشوف التي تمت في وادي الحلو، والتي توصل العلماء إلى حقيقة مفادها

أن تعاقباً زمنياً وقع في هذه المنطقة، وتحديداً بين العصرين البرونزي والحجري، وهو ما يؤشر إلى أن هذه المنطقة كانت مركزاً لإنتاج خامات النحاس في شبه الجزيرة العربية وتصديرها إلى العالم. وهو الحال نفسه الذي ستجده في دبا وخورفكان وكلباء، وغيرها من المدن الساحلية، حيث وجدت كثيراً من الآثار الضاربة العمق في الزمن، مثل اكتشاف بقايا ميناء كانت تنطلق منه رحلات إلى أقاليم الإمبراطورية الرومانية، ومما يعزز التواصل والتجارة مع العالم أن سكان السواحل كانوا يقومون بصناعة القوارب، لذا كانوا يستوردون القار من منطقة هيت في العراق. وموقع البحيص، الذي رسم للعلماء صورة واضحة عن الحياة في الإمارات قبل 7000 سنة. ولا تنسَ الموقع الأثري ساروق الحديد، الذي اكتشف منه المنطقة الصناعية فقط، وتستمر جهود العلماء، وحملات التنقيب للوصول إلى داخل المستوطنة، فالمكتشف حتى الآن هو موقع صناعة الذهب والحديد والنحاس والبرونز والفخار. وكما هو واضح، فإن الإمارات كنز معرفي تاريخي عن الإنسان وتطوره، وتلاقي الحضارات والتواصل العلاقات التجارية، وهذا الجانب لم تغفل عنه حكومة الإمارات، بل إنها تدعمه وتهتم به، ونرى ثمار هذه الجهود نتائج ومنجزات علمية تترجم على الأرض، وهذا الذي دعا المديرة العامة لليونسكو، إيرينا بوكوفا، للإشادة حيث قالت:

«أشيد بالتزام الهيئات الثقافيّة بتعزيز رؤية قويّة للثقافة، بوصفها محرّكاً أساسيّاً للتنمية المستدامة والسلام. وعلينا الاستمرار في هذا العمل المشترك، من أجل إبراز العمق الذي يبرزه هذا التراث، والقيم التي يحملها للأجيال الشابة، وبهذه الطريقة يمكننا أيضاً مواجهة الأشخاص الذين يسعون لنشر الجهل، وتشويه التراث والتلاعب بالثقافة، حيث يمكننا أيضاً هزيمة أفكار الكراهية والتطرّف».

اسم «اليونسكو» هو اختصار لاسم منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، والتي تقوم رسالتها الرئيسة على إرساء السلام، وذراعها لتحقيق هذه الغاية هي التعاون الدولي في مجال التربية والعلوم والثقافة. وتسعى في برامجها إلى تحقيق أهداف التنمية المستدامة المحددة في خطة التنمية المستدامة للعام 2030، التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 2015. هذه المنظمة العريقة كان لها مواقف إيجابية وبناءة في مسيرة الإمارات للكشف عن كنوزها، وأمام هذه المنظمة كثير من الجهد والعمل لتلحق بهذه الكشوف الغائرة العميقة في تاريخ الإنسان، والتي لا تقدر بثمن، والتي تعود إلى حقب وأزمان عبر آلاف السنين. فالكشوف متوالية، والمواقع التراثية متزايدة، وهناك مواقع تراثية أعلن عما تحتويه من كنوز معرفية، وتم تقييم قيمتها العلمية، ومع هذا فإن أعمال علماء الإحاثة والحفر لم تتوقف، ومازالت متواصلة.

رؤية الشيخ زايد بن سلطان
للمحافظة على التراث الإماراتي

تعدّ عملية توثيق الممتلك التراثي من أهم المشاريع التي تسعى الدول لتنمية قدراتها فيها، وهذه الفكرة بدأت بالظهور مع مطلع هذا القرن، فالفكرة الأساسية تتمحور حول إنجاز قاعدة معلوماتية كبرى؛ لحفظ التراث من الضياع، وهذا لا يقتصر على دولة دون غيرها، فكثير من الدول تسعى لإثبات جدارتها وقوتها من خلال آثارها؛ لتوثيقه وضمان حفظه وتداوله بطريقة صحيحة.

مريم سلطان المزروعي
كاتبة – الإمارات

من هنا جاء دور إدارة التراث، التي سعت للربط بينها وبين الدول الراغبة والمشاركة في التوثيق، سواء لمصادرها التاريخية أو التراثية أو مواقعها، بطريقة صحيحة، والغرض الأساسي من عملية التوثيق هو الحاجة الماسّة إلى توثيق هذا التراث المادي والمعنوي، والمحافظة عليه، كما أن عملية التوثيق تكون بناءً على أسس ومعايير عالية، ومن شروط التوثيق لهذا الممتلك التراثي الذي يتمتع بقيم ثقافية أو طبيعية، أن تكون على مستوى عالٍ واستثنائي؛ لأسباب تميزه عن غيره من الموارد التراثية؛ لأصالته وتمثيله كيان الدول، كما أن عملية التوثيق بحاجة إلى أن تكون مستوفية الشروط المعتمدة، وتعتبر منظمة اليونسكو للتراث العالمي هي المسؤولة عن إدارة حفظ التراث، ووضع أسس تخطيطية وتنفيذية لإدارة فعّالة لهذه المواقع، وإنتاجه بصيغته النهائية، فالغرض الأساسي من التوثيق هو حماية التراث.

وإذا جئنا لتعريف منظمة اليونسكو فإنها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، وهي وكالة متخصصة تتبع منظمة الأمم المتحدة، تأسست عام 1945م، وموقعها باريس، وهدف المنظمة الرئيس هو تهيئة الظروف الملائمة للحوار بين الحضارات، والثقافات والشعوب، على أساس احترام القيم المشتركة؛ لتحقيق الرؤى العالمية للتنمية المستدامة، وهناك خمسة قطاعات، والذي يهمنا حالياً قطاع الثقافة، الذي يعمل على حماية التراث العالمي بجميع أشكاله وإدارته، فهناك اتفاقية اليونسكو 1972؛ لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، وهي ست فئات: الثقافية، والطبيعية، والملموسة، وغير الملموسة، والمنقولة، وغير المنقولة، واتفاقية 2003 لصون التراث الثقافي غير المادي، واتفاقية 2005 لحماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي.

ولدولة الإمارات العربية المتحدة دور كبير في حفظ تراثها وصونه؛ فهي لها تاريخ عريق، وموروث حضاري غني، يزخر بالكنوز الأثرية والتراثية التي تعود لحضارات مختلفة عمرها أكثر من 7 آلاف عام، تتمتع بقيمة استثنائية عالمية، تساعد على ترشيحها وإدراجها على قائمة التراث العالمية، فقد سجلت ما يقارب الـ3100 مبنى تاريخي، من بينها 600 في أبوظبي، و550 في دبي، و600 في الشارقة، و50 في عجمان، و150 في أم القيوين، و500 في الفجيرة، و600 مبنى تاريخي في رأس الخيمة، كما أن هناك برامج مكثفة من الجهات المعنية، ومبادرات استراتيجية عدة ذات أهمية كبرى،

الهـدف منهـا إعـادة إحيـاء الواحـات ودورهـا، سـواء في مدينـة العـين، أو إمـارات الدولـة التـي تحتـوي على الواحـات، وهنـا تبـرز جهـود دولـة الإمـارات في حفـظ تراثهـا بأنواعـه الكثيـرة، ومحاولـة ربطـه بالشـروط العالميـة المدرجـة، وإذا جئنـا للخطـوات المتبعـة في عمليـة التوثيـق، فـأولاً لابـد مـن تحديـد القائمـة، وهـذه تكون من ضمـن مرحلة الترشيح لتلك المواقـع، وتقديمهـا للجنـة التـراث العالمـي، وهـذه الخطـوة لا تأتـي إلا بتكاتـف الجهـود مـا بـين المؤسسـات المعنيـة والدولـة، وأن تأتـي بطلـب منهـا وبرغبتهـا في ربـط هـذه القيمـة، مـن خـلال طلـب الترشـيح، مـع توضيـح أسـباب اختيـار هـذا الممتلـك التراثـي والتاريخـي، وإسـهاماته في المجتمـع، واستكشـاف الظـروف التـي يمكـن أن تجعلـه مسـهماً قويـاً في الاسـتدامة الاجتماعيـة والثقافيـة والاقتصاديـة، ثانيـاً وجـود خطـة إداريـة أو نظـام إداري يكـون ملائمـاً لحفـظ الممتلـك، وبعـد عمليـة التسـجيل تقـوم الدولـة بـإدارة الممتلـك وحمايتـه فتـرة طويلـة المـدى، واتخـاذ التدابيـر اللازمـة لضمـان فعاليـة النظـام، وضمـان نجاحـه، وهـذا يكـون مـن خـلال الحمايـة والصـون، ونقـل التـراث ذي

القيمـة العالميـة إلـى الأجيـال القادمـة، وهـذه الجهـود لا تأتـي إلا بترابـط مـا بـين المؤسسـات الثقافيـة في الدولـة، وتكاتفهـا لتوثيـق الإرث الثقـافي مـع اليونسـكو ، والجهـود الجبـارة التـي قـام بهـا معهـد الشـارقة للتـراث، الـذي حـاز ثقـة اليونسـكو، التـي وافقـت على منحـه صفـة مركـز مـن الفئـة 2، تحـت رعايـة المنظمـة الدوليـة، وذلـك مـن خـلال إعـداد كـوادر مؤهلـة متسـلحة بالمعـارف والمهـارات اللازمـة لإدارة التـراث الثقـافي وحفظـه وصونـه. قامـت دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة بتسـجيل ثمانيـة عناصـر على قائمـة التـراث الثقـافي غيـر المـادي، وضاعفـت جهودهـا، هـي: الصقـارة، بالتعـاون مـع 18 دولـة، وحرفـة السـدو، وفـن العيالـة والرزفـة والتغـرودة، والقهـوة العربيـة والمجلـس والعـازي، وكذلـك واحـات العـين التـي تعـدّ أول موقـع إماراتـي علـى قائمـة التـراث العالمـي، والتـي تضمنـت سـت واحـات، ومواقـع أثريـة ومدافـن جبـل حفيـت وحضـارة هيلـي وبـدع بنـت سـعود ونظـام الأفـلاج، كمـا تم ترشـيح ثلاثـة مواقـع، هـي خـور دبـي وموقـع الـدور والمشـهد الثقـافي في المنطقـة الوسـطى بالشـارقة عـام 2017، كمـا يحتـوي قلـب الشـارقة علـى عـدد كبيـر مـن المواقـع التاريخيـة والأثريـة، التـي تعكـس قيمتـه العظيمـة، والـدور البـارز في تطويـر التجـارة، كمـا أنهـا أعـدت قائمـة لنحـو 200 عنصـر مـن عناصـر التـراث الثقـافي غيـر المـادي في الدولـة، ضمـن الإجـراءات التـي طالبـت بهـا اليونسـكو لاعتمادهـا.

ومـن الملاحـظ مـع هـذه الجهـود الجبـارة، أن دولـة الإمـارات تعـد نموذجـاً ملهمـاً في العنايـة بتراثهـا غيـر المـادي، وتسـليط الضـوء عليـه لمـا فيـه مـن زخـم غنـي ومتنـوع، كمـا تتـم المحافظـة عليـه مـن التشـويه والاندثـار، إثـر التغيـرات الحادثـة في نمـط الحيـاة العصريـة، وهـذا يرسـخ دور الدولـة في بنـاء جسـور التواصـل مـع جميـع الـدول؛ للمحافظـة علـى الإرث الثقـافي بأنواعـه، وتنميـة الاقتصـاد الثقـافي والإبـداع فيـه، كمـا أن هنـاك متابعـة مسـتمرة مـن القيـادة الرشـيدة لمشـاريع صـون التـراث، وهـذا الفضـل يرجـع لرؤيـة المغفـور لـه، الشـيخ زايـد بـن سـلطان آل نهيـان، الـذي شـجع علـى صـون التـراث بـكل مواقعهـا التاريخيـة التراثيـة.

التراث الثقافي والهوية الإماراتية

د. عبدالله المغني
باحث أكاديمي - الإمارات

التراث والهُوية

يعد موضوع التراث والهُوية واحداً من الموضوعات المهمة لما يتّصف به من راهنية وأهمية في تعزيز قيم المواطنة والانتماء، وخاصة في نطاق تفاقم المخاطر المتزايدة بسبب اكتساح نظام العولمة للخصوصيات الثقافية والحضارية للأمم والشعوب.

المتغيرات الدولية التي تطال الأفكار والتصورات والرؤى والمواقف، التي تعبّر عنها الثقافات وتختزلها الحضارات الإنسانية على تعدّد مشاربها، وتنوّع مصادرها، وخصوصاً في هذه المرحلة التي يجتازها العالم، والتي تتعرّض فيها الهويات للتلاشي أو الذوبان في الهوية الغازية الغالبة، ويتعرض فيها التراث الإنساني لحملات شعواء من المسخ والتشويه والتقليل من قيمته والنيل من فعاليته في صيانة حقوق المجتمعات الإنسانية من التشبّث بقيمها التراثية وهوياتها التاريخية التي هي العمود الفقري لخصوصيتها الروحية ولمكوناتها الثقافية ولمساتها الحضارية.

والتراث ليس هو الماضي بكل ما حفل به من تطورات في المجالات جميعاً، وما شهده من من أحداث تعاقبت عبر العصور، ولكنه الحاضر بكل تحولاته والمستقبل بكل احتمالاته؛ فالتراث يمتد في حياتنا وينتقل معنا إلى المستقبل، وهو سمة أصيلة من سمات الهوية به تكتمل عناصرها وبصبغته ينصبغ، وهو حقل شاسع وواسع يشمل كل ما خلفه الحكماء والمفكرون والعلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء والمؤرخون والمصنفون في شتى حقول المعرفة مما يعد تراثا فكريا وثقافيا وعلميا، لذلك فهو يمثل الماضي والحاضر والمستقبل أيضاً، ويعدّ الاعتزاز به عنوان الهوية، والمحافظة عليه وتعهده بالعناية والرعاية مسؤولية ورسالة وواجبا، وهنا يتنزّل قول المؤرخ والمستشرق الفرنسي جاك بيرك «إن مستقبل العرب يتمثل في إحياء الماضي، لأن المستقبل في كثير من الحالات، هو الماضي أو الحاضر الذي وقع إحياؤه وعيشه من جديد».

وثمة أخطار كثيرة تنخر جسم التراث تتصدّره العولمة الكاسحة والجارفة للهويات والماحية للخصوصيات والطامسة للتراث مما يستدعي تضافر الجهود من أجل تأكيد الاعتزاز بالتراث وغرسه في الصدور وتوثيقه بين السطور، واستحضار ما ينطوي عليه من حكم بليغة، وقيم عريقة ورموز حضارية عتيقة سيما وأننا في عصر انتشرت فيه الأفكار التي تقوم على طمس معالم الهويات الوطنية للشعوب والأمم، حتى لا تبقى إلا هوية واحدة، هي هوية المتغلب، وقطع الصلة بين الإنسان وتراثه وماضيه وجذوره الحضارية والثقافية.

إن ما أفرزته العولمة من معطيات جديدة غزت العالم وأوجدت فجوة كبيرة وخلقت هوة سحيقة بين جيل الشباب وجيل حملة الموروث الشعبي يعد من أكبر التحديات التي تواجه الدول والمؤسسات الثقافية حول العالم من أجل المحافظة على تراثها وصون هويتها والتأكيد على خصوصيتها الثقافية دون انطواء أو انكفاء أو عزلة عن ركب الحضارة السائر.

عطفاً على ذلك الواقع ظهر جيلٌ معزول ثقافيا وفكريا متأثر بالغزو الثقافي والاستلاب الحضاري، وخلق نمطاً جديداً في التفكير والتعبير والنظر بدونية إلى التراث بوصفه موروثاً قديماً يرمز في أعين الكثير من الشباب في العالم العربي إلى الرجعية والتخلف.

تعزيز الهوية الوطنية

إن تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة تعتبر واحدة من التجارب الرائدة في الفضاء العربي لما تعكسه من أهمية وخصوصية... وتكشف لنا البدايات الأولى للعناية بالتراث والاهتمام به وإحيائه وزرع قيمه في نفوس الأطفال والنشء وكافة أفراد المجتمع عبر منافذ عديدة عن الأهمية الكبرى التي أولتها دولة الاتحاد للتراث بفضل جهود القائد الرائد والحكيم الوالد المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، حيث كان التراث حاضراً في فكره ورؤيته عبر سنوات طويلة أمضاها في حفظ التراث وتوثيقه وتسخير الجهود كافة من أجل النهوض بتلك الغاية النبيلة ضمن رؤية ثقافية شاملة ومتكاملة أسهمت في المحافظة على التراث بوصفه المعبّر بحق عن الهوية المحلية والخصوصية الثقافية لمجتمع الإمارات.

كما تعزّزت تلك العناية وترسّخت على مدى السنوات الماضية، والتي أسهمت - بعد حين - في تسجيل الكثير من العناصر التراثية الإماراتية ضمن قوائم اليونسكو لحماية التراث الإنساني، وهي نتيجة مباشرة للبدايات الأولى ودورها في التأسيس لحماية تراث عميق وعريق.

زايد والتراث

لقد أولى الشيخ زايد، طيّب الله ثراه، اهتماماً خاصاً بالتراث، باعتباره مكوناً رئيساً من مكونات الهوية الوطنية، وسمات الشخصية الإماراتية، فكان، رحمه الله، حريصاً على صون التراث، وحفظ العادات والتقاليد والقيم المستمدة منها، وغرسها في نفوس الأجيال الجديدة، من خلال إنشاء المؤسسات التي تطلع بهذه المهمة.

كما احتلت الرياضات والمسابقات التراثية مكانة بارزة في فكره وحياته إدراكاً منه لأهميتها في بناء شخصية الإنسان، وإكسابه الصفات الحميدة، والعادات الكريمة، وتعويده على الصبر وقوة التحمّل في مواجهة الشدائد. وقد عكست أقواله مضامين تلك الرؤية، حيث دعا فيها إلى التمسّك بتراث الآباء والأجداد والعض عليه بالنواجذ، وعدم الانغماس في الثقافة المعاصرة دون وعي وإدراك لما لها من مخاطر تؤدي، في جلّها، إلى الاستلاب الفكري والحضاري والانسلاخ من الجذور.

وبذلك، جعل من التراث شأناً مجتمعياً عاماً وأمراً لا يمكن تجاوزه في ترسيخ النظرة الإيجابية للتراث، وقد أثّرت القيادة الرشيدة من خلال هذا الخطاب الثقافي والسياسي المحكم في النخبة الإماراتية وموقفها من التراث، وذلك ما يتجلى بوضوح في الدمج بين الأصالة والمعاصرة، والربط بين مجتمع الدولة ومجتمع القبيلة، والتوفيق بين الخصوصية والعالمية، وفيما ومضات سريعة من تلك الأقوال الخالدة التي تشي بهذا المعنى:

«لقد ترك لنا الأسلاف من أجدادنا الكثير من التراث الشعبي الذي يحق لنا أن نفخر به ونحافظ عليه، ونطوره ليبقى ذخراً لهذا الوطن وللأجيال القادمة». وقوله: «لابد من الحفاظ على تراثنا القديم؛ لأنه الأصل والجذور، وعلينا أن نتمسك بأصولنا وجذورنا العميقة».

وقوله: «إن أبناءنا عندما يستوعبون مسيرة آبائهم وأجدادهم يستطيعون أن يعرفوا سبب النصر، وبالتالي معرفة الطريق المؤدي إلى النصر».

ويقول: «إن الإلمام بالتراث ينير الأفكار وينير طريق الحياة».

«إن الإلمام بهذه الحقائق لا يتم إلا عبر قراءة واستيعاب تاريخ آبائنا وأجدادنا على أرض الوطن.. إن إمكانات الاطلاع متوافرة الآن لكل راغب من الشباب».

«على شعبنا ألا ينسى ماضيه وأسلافه، كيف عاشوا، وعلى ماذا اعتمدوا في حياتهم، وكلما أحس الناس بماضيهم أكثر، وعرفوا تراثهم، أصبحوا أكثر اهتماماً ببلادهم، وأكثر استعداداً للدفاع عنها».

إن إنشاء مؤسسات وجمعيات ونوادٍ تُعْنى بحماية التراث وحفظه، يجسّد بحق ذلك الاهتمام الكبير الذي أولته الإمارات للتراث، وكان أبرزها الاتحاد النسائي العام1975، «اللجنة العليا لِتراث وتاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة» سابقاً 1976م، ونادي تراث الإمارات 1993م، الذي عني بالحفاظ على التراث المادي والمعنوي والبيئي لدولة الإمارات. كما وجّه الشيخ زايد بإنشاء مراكز متخصصة للبحث في التراث وجمعه وحفظه وتوثيقه.

وكان الشيخ زايد حريصاً على الحفاظ على العادات والتقاليد عبر التواصل مع أبناء شعبه ومشاركتهم مناسباتهم السعيدة والحزينة، كما تقضي تقاليد المجتمع الإماراتي، وكثيراً ما كان يشاركهم حمل السيف والرزفة في الاحتفالات الوطنية.

ولم تقتصر جهود الشيخ زايد رحمه الله على ذلك فقط، بل عمل على حماية التراث ودعمه وتشجيعه والتعريف به وإبرازه والاحتفاء به والاعتزازه بقيمه وعناصره ورموزه، وذلك من خلال الاهتمام بمجموعة من العناصر من بينها : رياضة الصقور، الشعر النبطي، الأفلاج، الفروسية، الفنون الشعبية والأدائية، سباقات الهجن وغيرها من العناصر والمحاور التي تتّصل بعمق الفكر التراثي والثقافي لدى الشيخ زايد رحمه الله، والتي نالت حظها من الاهتمام على المستوى العالمي بتسجيلها ضمن قوائم اليونسكو، تتويجاً للمساعي القيّمة التي تبذلها الحكومة الرشيدة. كما تسهم الفعاليات والبرامج التراثية، التي يتم تنظيمها على مدار العام، إسهاماً معتبراً في تعزيز الوعي التراثي والثقافي لدى الأبناء والنشء وربطهم بتراث الآباء والأجداد الذي يعتبر صمام الهوية ورمز الانتماء.

تأثيرات الشعر الشعبيّ في الأغنية الشعبية بالإمارات

علي العَبْـدان
شاعر وتشكيلي وباحث تراثي
الإمارات

كان للشـعر الشـعبيّ فـي الإمـارات أثـرٌ كبيـرٌ ومباشـر فـي نشـأة الأغنيـة الإماراتيـة، وتكويـن الأسـلوب الخـاص بهـا، فمنـذ قصيـدة ماجـد النعيمـي (يـا حبيـب القلـب)، التـي دارت كلماتُهـا علـى أول أسـطوانةٍ تُسـجل لمطـربٍ مـن الإمـارات، هـو الفنـان الرائـد حـارب حسـن، كان واضحـاً أن الأغنيـة الإماراتية المحترَفة الناشـئة سـيكون لهـا أسـلوبٌ يُميـزهُ الشـعرُ الإماراتـي بطبيعـةِ لهجتـه، وهـي لهجـةٌ مُزجـت مـن لهجـةِ الأزد، وهـي لهجـةٌ قحطانيـة، ومـن لهجـة بنـي تميـم ولهجـة بنـي عبـد القيـس، وهمـا مـن اللهجـات العدنانيـة بهذا الطابع الخاص جاءت قصائد الشعر الشعبي في الإمارات، ومن ثمَّ تطبّعت الأغنية الإماراتية به، وإلا فإن الألحانَ في عالَم الغناء كثيرةٌ ومَطروقة، والإيقاع بأنواعه معروفٌ ومستعمل، والأداءُ نسبيّ، كما هو معلوم، لكنْ يظل الشعرُ يأبى إلا أن يكون متفرداً ومميزاً باللهجة، خاصةً حالَ إنشاده، ومن هنا كان في الموسيقا والغناء لهجاتٌ، على الرغم من الاتفاق على النغمات والسلالم الموسيقية في الغالب، وفي هذا السياق يقول الفيلسوف أبو يوسف يعقوب الكندي، ما معناهُ، إن لكل قوم في الموسيقا والغناءِ مذهباً ليس لغيرهم، وهكذا فإن للعرب مذهباً في التنقل بين الألحان بالضرب أو الإيقاع اللائق بغنائهم، وعلى طريقة لغتهم وألحانهم، وهكذا بقية الشعوب، لكلٍّ منها مذهب في الأداء، مع أن جميع تلك المذاهب تعودُ إلى النغماتِ الثماني الأساسية، وذلك لأنه ليس شيءٌ من المَسموعاتِ خارجاً عن أحدِها[1].

ومن هنا كان للأغنية الإماراتية خصوصيةٌ منذ البداية، على الرغم من اقتباس المطربين الإماراتيين الأوائلَ الألحانَ من قوالبَ خليجيةٍ أو عربيةٍ أخرى، فمسألة الاقتباس والاستلهام من أعمال الآخرين هي عادةٌ عامةٌ في الفنون والآداب في العالم كله، ولكن تأتي بعضُ العوامل التي تُخصّصُ الأعمالَ الفنية والأدبية، ومن أهم تلك العوامل اللسانُ واللهجة، ونعم؛ لقد تأثر بعضُ الشعراء الإماراتيين

بالشـعراء الغنائيـين الآخَريـن، فاقتفـوا آثارَهـم، أو تأثروا بـ«القصائد الأغاني»، فنسـجوا على منوالها، فمـن الأمثلـة على التأثر بالشـعراء الغنائيين قصيدة سـالم الجمري (تريد الهوى لك على ما تباه)، التي غنّاهـا الفنـان الإماراتـي علـي بـن روغـة، وكذلـك قصيدته (تريد الهوى لى يجود بوفاه)، التي غنّاها الفنـان الإماراتي محمـد بـن سـهيل، فكلتاهما جاءتا تأثـراً بقصيـدة الشـاعر والفنـان الكويتـي عبـدالله الفـرَج (تريد الهوى لك على ما تريد)، التي ذهب أحـدُ أشـطرِها أو جـزءٌ منـه مثـلاً مشـهوراً، وهـو: «وحشـرٍ مـع النـاس عِيـد»، وهـذه القصائـد جميعها مـن بحـر المتقـارب، أو وزن الجَدولـيّ، كمـا يُسـمى في مصطلحـات الشـعر الشـعبيّ، ومـن الأمثلـة على التأثر بقصائـد الأغانـي قصائـد الشـاعر الإماراتـي سـعيد بـن عميـر، التـي تأثـرت بالقصائـد الغنائيـة الخفيفـة في الخليـج، كقصيدتـه (بـاللّه عليـك يـا مهنـدس)، التـي جـارى بهـا الأغنيـة البحرينيـة التـي مطلعهـا (باللّه عليك يا موزّع)، ومنها قصيدته (سهرت الليل مـن شـانه)، التـي يظهـرُ فيهـا جليّـاً التأثـر بقصيـدة (بفضـل اللّه سـعد حظـي)، للشـاعر الأحسـائي ابـن عفالـق، بمـا فيهـا مـن الألفـاظ وسـياق طـرح الموضـوع، والقصيدتـان مـن الـوزن ذاتـه أيضـاً، وقصائـد سـعيد بـن عميـر هـذه غنّاهـا الفنـان حـارب حسـن.

ولكـن مـع هـذه الأمثلـة وغيرهـا بقيـت عامـة الأشـعار الإماراتيـة إلـى وقـتٍ قريـبٍ علـى مـا كانـت عليـه مـن سِـماتٍ تمنحهـا خصوصيـةً واضحـةً في اللهجـةِ والـوزن

والقافية أيضاً، فتلك الخصوصية التي وهبها الشعرُ الشعبي الإماراتي للأغنية الإماراتية لم تقتصر على اللهجة، بل تمثلت أيضاً في بعض الأوزان الشعرية، ورنينها المتميز، أو دلالاتِ متحرّكاتها وسَواكِنها، ومن هنا كان لخصوصية وزن (الردح) الشعبيّ بنوعَيْه الطويل: مستفعلن مستفعلن فاعْ، والمتوسط الذي يُسمى (ردح واقف): فاعلاتن فاعلن فاعلْ، أثرٌ في تغيير أو تطوير بعض الألحان القديمة إلى أسلوبٍ جديد، كما حصل لأغنية حارب حسن (آه قلبي له بشاشاتي)، وهي قصيدة للشاعر محمد المطروشي من وزن الردح الواقف، فقد تأثر حارب في تلحين هذه الأغنية بلحن الأغنية البحرينية الشهيرة (زرعت الطِيب في بعض الأراضي)، وهي للشاعر محمد بن حبتور المهيري[2]، لكنّ حارب حسن أدخلَ بعض التعديل على لحن الغناء وزمن الإيقاع، بسبب وزن قصيدة (آه قلبي له بشاشاتي)، الذي يختلفُ عن وزن قصيدة الأغنية البحرينية المذكورة، فقصيدة الأغنية البحرينية من وزن الوافر، أو الصّخري كما في مصطلح الشعر النبطيّ: مفاعيلن مفاعيلن فعولن = //0/0/0 //0/0/0 //0/0، أما قصيدة المطروشي فأنقصُ في الوزن، فهي كما سبق ذكرُه: فاعلاتن فاعلن فاعلْ = /0/0//0 /0//0 /0//0، ولذا كان لابد من تعويض النقص ببعض اللوازم الموسيقية ونحوها من عناصر التلحين من أجل الاحتفاظ ببنية اللحن وإيقاعه بشكلٍ عام، وهذا ما أدى بحارب حسن إلى تطوير اللحنِ المُقتَبَس إلى لحنٍ ذي طبيعةٍ جديدة، وكان هذا بسبب وزن من الشعر الشعبي كما رأينا، وكذلك كان لوزن (الونّة)

أثرهُ في إغناء الأسلوب الإماراتي في التلحين، سواءٌ في القصيدة ذات الشطرَيْن، أو في (المثلوثة) من الوزن نفسه، هذا بالإضافة إلى القوافي المصطبغة بصبغة اللهجة الإماراتية، حيث قد تأتي أحياناً بموسيقا لفظيةٍ نادرةٍ، كما في كثيرٍ من أغاني حارب حسن وعلي بن روغة مثلاً.

وعَوْداً إلى لهجة الشعر ذاتها، أقول إنها قد مثّلت حجرَ الأساس في تقبّل المجتمع الإماراتي للأغنية الشعبية الإماراتية، بمعنى أن الأغنية الإماراتية لم تأخذ تصريحاً بالعبور إلى عموم المجتمع إلا من خلال الشعر الشعبي، وإلا فقد كانت هناك أغانٍ كثيرةٌ ترِدُ إلى مُدن الإمارات في شكل الأسطوانات التجارية، أو في حضور وغناء بعض المطربين الزائرين أو الوافدين من البحرين واليمن وزنجبار في مدينتَي الشارقة ودبي، وغيرهما من المدن الساحلية خاصةً، ومع ذلك لم ينتشر ذلك الطربُ بشكلٍ عام، وإنما ظل في حدود جلسات هُواة الطرب، أو في حدود استعماله في الأعراس والأفراح، على أنه شيءٌ مُبهجٌ ومطربٌ وصالحٌ لإعلان المناسبة، ثم إن ذلك كله لم يتعدّ المدنَ الساحلية إلا في النادر، أما الاهتمامُ العام بالطرب الشعبيّ، فإنما جاء بعد أن طوَّعت الأغنية نفسَها للقصيدة الشعبية الإماراتية، وأخذت تخدمُ الأدبَ الشعبيَّ، من خلال الشعر، كما كان عليه في الماضي من رُقيٍّ وأصالةٍ غالبةٍ، ومن هنا انتشرت الأغنية الإماراتية في مناطق الإمارات كافة، بعد أن لم تكن الأغنيةُ المحترَفةُ تُعرفُ إلا في المدن الساحلية الرئيسة، ويكفي أن أذكرَ أسماءَ الشعراء الذين غنّى قصائدَهم كلٌ من حارب حسن وعلي بن روغة - وهما مَن هما في تاريخ الأغنية الإماراتية - ليعرفَ القارئُ المتابع القِيَمَ الجمالية الأدبية التي طُرِّزت بها قصائدُ الأغاني الإماراتية الأولى، فمن أولئك الشعراء الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مؤسس الاتحاد، طيّبَ الله ثراه، وسالم الجمري، وابنة الماجدي بن ظاهر، وماجد النعيمي، وسعيد بن هلال الظاهري، وفتاة العرب عوشة بنت خليفة السويدي، وعلي بن شمسة، ومحمد المطروشي، ومحمد بن سوقات، وأحمد بن سلطان بن سليّم، ومعالي الدكتور مانع سعيد العتيبة، وكثيرٌ غيرهم.

ولاشك في أن الشعر الشعبي في الإمارات استفاد فائدةً كبيرةً من دخول قصائدِهِ عالمَ الأغاني الشعبية، وتلك الاستفادة تتمثلُ في الانتشار السريع للقصائد، وهو أمرٌ ناجمٌ عن عاملَيْن رئيسَيْن مؤثريْن، أحدهما الألحانُ الجميلة التي طبعت تلك القصائدَ بطوابعها، فساعدت على تذكر كلماتها، والآخرُ مجيء الوسائط الصوتية الحديثة كالأسطوانات والأشرطة بأنواعها، وكالإذاعة والتلفزيون، ومع ذلك ففضلُ الشعر الشعبيّ الإماراتي على الأغنية الإماراتية أكبرُ من فضلها عليه، من وجهة نظري.

1- انظر الرسالة الكبرى في التأليف ضمن (مؤلفات الكندي الموسيقية)، تحقيق وتعليق زكريا يوسف، منشورات الجمل، بغداد - بيروت، 2009، ص 159 - 160 حيث لخّصتُ كلامَ الكندي ونقلتهُ إلى هنا بالمعنى.

2- محمد بن حبتور المهيري هو شاعر من الإمارات، عاش في البحرين، وتوفي فيها عام 1975.

فن السيع (السجع)

هو فن من الفنون التي تؤدى أثناء السفر؛ إما برّاً أو بحراً، أو أثناء رحلة الغوص، وذلك لكي يكسر مؤدو هذا الفن عناء الطريق، حيث إن الوقت طويل عليهم أثناء هذه الرحلات، وذلك لاستخدام وسائل النقل البطيئة في المسار، فعن طريق البحر يستخدمون المحامل التي تسير بالشراع أو بالتجديف، وفي البر تكون الوسائل المستخدمة هي الابل أو المشي على الأقدام، مما يجعلهم يلجؤون إلى الغناء بفن السيع.

علي العشر
خبير تراث فني

فعن طريق البحر يستخدمون المحامل التي تسير بالشراع أو بالتجديف، وفي البر تكون الوسائل المستخدمة هي الابل أو المشي على الأقدام، مما يجعلهم يلجؤون إلى الغناء بفن السيع.

طريقة أداء هذا الفن:

يؤدى هذا الفن عن طريق أناشيد أو قصائد أو أزهريات يبدأ بها أحد الموجودين بصوت عالٍ ملحنٍ بلحن مركّب على الأبيات التي ينشدها.

ثم يردد من ورائه الآخرون باللحن نفسه الذي أنشد به، وعلى هذا المنوال حتى نهاية القصيدة.

يؤدي هذا الفن في جميع إمارات الدولة، ولا تستخدم فيه أي أدوات إيقاعية موسيقية، ولا يوجد فرق في أدائه من إمارة إلى أخرى.

أما في الوقت الحالي، حيث لا يوجد سفر بالوسائل المذكورة آنفاً، فمن المفترض ألّا يضيع هذا التراث، وتجب المحافظة عليه، وأن يظل متداولاً جيلاً بعد جيل.

تقوم المجموعة بأداء هذا الفن في المجالس، وفي جمعيات الفنون الشعبية المهتمة بالمحافظة على التراث.

ومن قصائد فن السيع ما يلي:

بالغر يا جراح القلوب
قلبي جرحته وعندك دواه
واشقى من يابه الدوب
وعاييت بي يا زين معياه
وعاينت بين الصد والبين
واتحسب لاني مفارق ومضنوز
الله يلي كم اشهر مر
كم ليلة يركد بليل
اكفي اشتاي واقبل الحر
ما لي بخت من يطلع سهيل

اهلا بهبوب ياي من بره
يتلي ياخوك ذنناني
بنشده ويقول لي مرة
عن فريج السوء تنساني
يا ربيع العين والكرة
ما هكيتك عاد تنساني
بحر المودة خبب وعي
بامواج ويزاغي طوفان
بحري مخادع وراكد شوي
واليوم بحري خيب وشان
واه مركبي سافر طبع سي
سي وطبع في راس لفان
خسران جني ما معي شي
ولي الغزال الي غالي اثمان
نهار ما هب الهوي ودار
بغبار ويزاغيه طوفان
في بقيق انا عاينت لخطار
واحتار فكري وش بدافيه
وعن القدر ما تنجي احذار
والمستوى ربك يسويه
وليل ضويت وزرعت لمرار
والزنجبيل السمن يطفيه

هذه الصفحة تتناول حياة الناس في الإمارات قديماً... أعمالهم وطرق معيشتهم، وعاداتهم ومعتقداتهم وحكاياتهم، وما يواجهونه من مواقف وطرائف في حياتهم اليومية، من خلال ما رووه شفاهة، أو في المقابلات التي أجريت معهم، ونشرت في الدوريات والكتب.

المرأة البدوية «فلانة في التالي»[1]

علي أحمد المغني
باحث في التراث الثقافي

اعتمدت حياة البدو على التنقل في المناطق الصحراوية بحثاً عن الماء والعشب، يستخدمون الإبل في تنقلاتهم، ويقيمون في خيام وبيوت بسيطة يسهل حملها، مصطحبين معهم حيواناتهم من الإبل والغنم. على الرغم من صعوبة الحياة وقساوة الطبيعة، والموارد البسيطة في البيئة التي يعيشونها، كان للصحراء أثرٌ كبيرٌ في تشكيل عادات وتقاليد خاصة بالبدو، كما أن لهم صفات كريمة اتسموا بها، فتأقلموا معها، وأصبحت تشكل جزءاً أصيلاً من شخصياتهم، وسلوكهم، وطرق تعاملهم مع الآخر.

اتسم البدوي بالشهامة والرجولة، والنخوة والكرم، واحترام العهد، والصبر وتحمل الشدائد، والتآلف والتراحم والترابط عند الأزمات، ومن صفاتهم كذلك أنهم بسطاء، متلاحمون، مترابطون، يحفظون العهد، ويفزعون لبعضهم في أوقات الشدة والفرح.

تزخر كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا شبه الجزيرة العربية بكثير من المعلومات التي تصف مظاهر الحياة عند البدو، وعاداتهم وتقاليدهم، ومظاهر حياة التنقل التي يعيشونها، ورغم النظرة المتحيزة عند هؤلاء الرحالة تجاه هذه المجتمعات، وخاصة تجاه المرأة، إلا أنها رسمت لنا صورة عن حياة المرأة ومكانتها، ودورها في مجتمع الصحراء، حيث وصفت مقاييس الجمال عند المرأة البدوية، وملابسها وزينتها والعادات المرتبطة بالزينة، كما تناولت الدور الكبير الذي لعبته المرأة البدوية في البادية، وتصفها بأنها نصف المجتمع، وتربي النصف الآخر، فهي الأم والأخت والزوجة والابنة، حيث يقع على عاتقها القيام بجميع الأعمال المنزلية، وما يتعلق بها من مهام مختلفة، ويصفون المرأة البدوية بأنها نشيطة في تأدية مهامها، إذ تقوم بأداء جميع الأعمال المتعلقة بالحياة اليومية، إلى جانب العناية بالأطفال، وتربيتهم وإعداد الطعام وطحن الحبوب

وحياكة الملابس وغزل الصوف، وتقوم بصناعة المواد الغذائية، وجمع الحطب وإحضار الماء، وحلب المواشي والعناية بالحيوانات، ونصب الخيام وفكها وحملها على ظهور الدواب وغيرها من الأعمال، كما ذكروا أن واجبات النساء ومسؤوليتهن هي أكبر مما يقع على عاتق الرجال من أعمال، كذلك تقوم المرأة مقام زوجها في استقبال الضيوف والترحيب بهم في غيابه، وتكرم ضيافتهم وإعداد الطعام لهم، وإطعامهم، وتأمين الراحة لهم.

عاش البدو في الإمارات متنقلين بين مناطق الصحراء؛ لرعي حيواناتهم، والذهاب في رحلات تجارية الى المدن (المطراش)؛ لبيع ما أنتجته لهم الطبيعة الصحراوية مثل الفحم والحطب والثمام ومنتجات الألبان والجلود، وفي عودتهم من هذه الأماكن، يشترون ما يلزمهم ولأهلهم، مثل العيش والسكر والكسوة وغيرها، كما يجوبون الصحراء في رحلات جماعية للقنص والصيد.

تحملت المرأة البدوية في هذه المجتمعات العبء الأكبر في إدارة شؤون الحياة في منزلها، خاصة أثناء فترات غياب الزوج في رحلات السفر للعمل وكسب الرزق أو القنص، وتولت العديد من المسؤوليات والمهام داخل المنزل وخارجه، عزّزت من قيمتها

ومكانتها وسط القبيلة، وجعلت منها أحد الروافد الإنسانية المهمة لاستمرار الحياة بجميع أشكالها، واستغلت موارد البيئة الفقيرة، من أجل توفير المتطلبات الخاصة بالأسرة، من الغذاء والماء والدواء والكساء وغيرها، وقامت بتربية الأبناء، وتنشئتهم على قيم الدين الإسلامي الحنيف، والعادات والتقاليد البدوية الأصيلة، وغرست القيم النبيلة في نفوس أبنائها كالشجاعة، والنخوة، والشهامة، والاحترام، والحب، والطاعة، وغيرها، وقامت ببعض الصناعات اليدوية التي تعتمد على الخامات التي توفره لها البيئة الصحراوية.

قدمت الراوية صبحة محمد جابر الخييلي وصفاً دقيقاً لدور المرأة في المجتمع البدوي، وطريقة إدارة شؤون منزلها، وتربية أبنائها، وعلاقاتها مع نساء القبيلة، فتقول: إن المرأة البدوية تتصف بأنها شجاعة وقوية في «المكدة»؛ أي في العمل، وكان البدو يصفون المرأة العاملة التي يُعتمد عليها بقولهم: «فلانة في التالي»، وهذا يعني أنها شجاعة، ويمكن الاعتماد عليها، فإذا كان زوجها في التجارة تقوم مقامه في البيت، حيث تتولى مهامه، سواء من حيث رعي الإبل وحلبها، أو تربية الأبناء، بالإضافة إلى دورها في رعي الهوش (الغنم)، وحلبها، حتى إنها إذا ضاعت أغنامها، تخرج للبحث عنها حتى ولو كان الوقت ليلاً، يرشدها إلى الطريق ضوء القمر، كما أنها تقوم بجلب الحطب، فتحمله على رأسها، كما تجلب الماء من البئر، وتقص شعر الغنم، ثم تحفظه في الخِّياش (الجونية أو الشوال، كيس كبير مصنوع من الليف أو الكتان يستخدم في حفظ المواد)، لمدة

عام أو أكثر، كما تقوم بغزل وحياكة الملابس، وغير ذلك من الأعمال.

اشتهرت المرأة البدوية بالذكاء، وتوجد مقولة عند البدو يتداولونها للدلالة على ذكاء المرأة، وحكمتها في تدبير شؤون منزلها، فقد كانوا يقولون «الحرمة اللي فيها خير تخبّي من نارها»، أي: تحتفظ بقطعة من الحطب المشتعل دائماً لتستخدمها عند الحاجة، وتجعل النار في منزلها متقدةً طوال الوقت، وعند ترحال القبيلة لا تنطفئ لأكثر من عام، فقد كانت المرأة تحمل حطبة الضّو (النار) وهي وارية (مشتعلة) في يدها من مكان إلى آخر، لتضمن بقاء النار مشتعلةٌ لاستخدامها في القبيلة وقت الحاجة.

يبدأ يوم المرأة البدوية مع بزوغ نجمة الفجر، وقبل شروق الشمس، وبعد أن تنتهي من أداء فروضها الدينية، حيث تقوم بإعداد وجبة الإفطار لأهل بيتها من زوج وأطفال وأسرة مكتملة، وبعد أن تطمئن إلى أن الجميع تناول إفطاره (تريّق)، تستعد للقيام بالمهام اليومية الأخرى، كتنظيف المنزل، وهو بيت الشَّعر، وإعداد الطعام، وتربية الأبناء، وحلب الماشية (الهوش)، وإحضار الماء من البئر، وجمع الحطب وغسل الملابس وغيرها.

بعد أن تنتهي كل امرأة من أعمالها المنزلية الأساسية، وتطمئن إلى أمور بيتها من مختلف النواحي، تلتقي النساء بين فترتي الضحى والظهر في أحد البيوت، ليتبادلن أطراف الحديث، ويتناولن قهوة الضحى، ولم يكن ذلك الوقت الذي يمنحنه لأنفسهن لتبادل الأخبار والاستماع إلى الأحوال فقط، وإنما كان وقتاً مقدساً للعمل والإنتاج، وتبادل الآراء، والتعاون في تنفيذ المهام الموكلة بكل واحدة منهن، فقد كنّ يتشاركن في إنجاز الصناعات الخفيفة التي يشتغلن بها فترة الضحى، حيث أبدعت البدوية في صناعات كثيرة ومتنوّعة، ولعل من أبرزها صناعة الغزل والحياكة والنسيج، والصناعات الغذائية الخفيفة، كتلك المشتقة من صناعات الألبان، إضافة إلى الصناعات السعفية (نسبة لسعف النخيل)، كصناعة السرود، وسف الخوص وخلافه.

وعن طريقة جلب المياه من الآبار، تقول الراوية: في فصل الشتاء كانت النساء تجلب الماء من الآبار على الناقة، ويُحمل عليها الماءُ في قربتين أو ثلاث أو أربع، وهو ما كان يكفي للحاجات اليومية، وبعضهن يجلبن الماء بحمل القربة على ظهورهن، بينما تثبتن الحبل على الرأس للتخفيف من ثقل القربة. أما في فصل الصيف، فقد كان البدو يستفيدون من إقامتهم بالقُرب من الآبار، فيقومون باستخدام القدور المصنوعة من المعدن في تعبئة الماء ونقله بدلاً من القِرَب، وتلك وسيلةٌ فعالة، تضمن المحافظة على «القِرب» جديدة ومتماسكة، وذلك من أجل إعادة استخدامها في فصل الشتاء، حيث تكون البيوت بعيدة عن مواطن الآبار ومصادر المياه، وتُستخدم في نقل الماء بعد أن تقوم النساء بتنظيفها بإتقان، حيث يَثْرُدن، القدور؛ أي: يغسلنها بالرمل لضمان نظافتها.

وذكرت الراوية كذلك بعض الممارسات التي تقوم بها المرأة المرتبطة بالمعتقدات، منها: «قياس الشّبْر» وهي موهبة تتمتع بها بعض النساء، وتسمى المرأة التي تمارس هذا العمل «راعية الشّبر»، والشّبر هو وحدة القياس بالكف، وتعتمد على المسافة بين الأصابع، كأن تأتي إحدى النساء إلى راعية الشّبر، فتطلب منها أن تشبُر لها بقولها: «اشبري لي»، فتقوم الأخرى بالقياس بدءاً من بداية الكف، وتحديداً من الإصبع الوسطى، ثلاثة أشبارٍ وصولاً إلى الذراع، وهي تردّد الهدف. فمثلاً إذا كانت المرأة ترغب في معرفة نوع جنس المولود ذكراً أم أنثى، تقوم «راعية الشّبر» بترديد رغبة المرأة صاحبة الطلب، وهي تقيس، كأن تقول: «المولود ولد»، فإذا رجعت مرةً أخرى بالقياس من حيث وصلت إلى حيث بدأت، وظهرت زيادة في الشبر الأخير؛ كان الجواب بالإيجاب على السؤال، وإذا لم يصل الشّبر الثالث من حيث بدأ، كان الجواب خلافاً لما طلبت تلك المرأة.

كذلك تمارس بعض النساء ضرب الودع، ويطلق عليها «ضرّيبة الودع»، وكانت دائماً تحمل معها «7 ودعاتٍ»، وترمز الودعةُ للرجل، و«7 حباتٍ من نوى التمر»، وترمز النواةُ للبنت، و«7 قطعٍ من فنجان يتم كسره لهذا الغرض»، وترمز كسرة الفنجان للخير والشر، كلّ الأدوات تعدّ وسائل تستخدمها المرأة الشهيرة بضرب الودع، وهي تحملها معها أينما ذهبت، ونادراً ما تفارقها عندما تتحرك من مكان إلى آخر، وقبل أن تبدأ ضرّيبة الودع بممارسة

موهبتها تقوم بخلط تلك الأدوات كلها مع بعضها خلطاً جيداً، وتسأل عن الهدف، فتقول: «وضح لها ما في نفسها»، وقد يكون الغرض من الضرب السؤال عن ماشية تاهت في الصحراء ولم تعد، أو قد يكون للسؤال عن الزواج، أو عودة مسافر، أو معرفة جنس المولود بنتاً كان أو ولداً، أو السؤال عن «الطروش»، وغير ذلك مما يشغل بال المرأة، وترغب في معرفة المجهول حوله.

وللإجابة عن تلك الأسئلة تقوم ضاربة الودع بنثر ودعها على الأرض، وتقوم بالكشف عن توقعها بناءً على موقع كل أداة وشكلها، ووفقاً لرمز كلٍّ منها.

ومن الممارسات «الخطّ في الرمل»، حيث تقوم المرأة الخطّاطةُ بإحضار رملٍ نظيفٍ، وتقوم بالتخطيطَ عليه، وتبدأ بقياس أربعة أشبار، ثم ترسم خطين بعد إصبعين، ثم تقيس مرة أخرى إصبعين، فتخطّ بشكل غير متسلسل، مرة تقيس، والأخرى تخط، وهكذا. وفي النهاية ترسم خطَّين في الوسط، وبناءً على الشكل الذي سيظهر في النهاية تتوقع، وتجيب عن السؤال المطروح، سواء كان حول ضياع ماشية أو غيره.

يتبع،،،

1- علي عفيفي علي غازي (د)، بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة، (العراق/ لبنان/ كندا: دار الرافدين، opus publishers)، 2016؛ حوار وإعداد: فاطمة النزوري، تحرير: شيخة محمد الجابري، وين الطروش؟ بادية أبوظبي خلال الثلاثينيات إلى الستينيات من القرن العشرين، ذكريات ترويها: صبحة محمد جابر الخييلي، (أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية)، 2014.

زايد

شاعر تتفاعل البيئة في عوالمه الشعرية

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد - الإمارات

زايد الشاعر الذي لا يُشقّ له غبار، قصائده تعبر الأزمنة، وتزداد بريقاً مع مرور الزمن، تتمعن فيها فتزداد القصائد عمقاً، تنظر إليها من بعيد فتتألق بجمالها، فيها كيمياء الإبداع، ولها ثقل الإبهار. تجربة شعرية متميزة وفارقة بصياغتها ومفرداتها، وفضاء أخيلتها الخصبة.

لو ما اللزم وزّاني بيي على منواه
بدني له يا فلاني شقرا شروى القطاه
سبتا لها زفاني ورشامها تشعاه
توثب شرى لحصاني لي هزّ لها عصاه
وخلّي حلو العياني محال ما بنساه

في هذه القصيدة الغزلية صورة وصفية رائعة للمحبوب، من خلال مقاربة ثلاثية، تتألف من اللون والشكل والحركة، مع ثلاثة عناصر من الطبيعة، هي طائر القطاة والناقة والحصان، بصياغة فنية عالية، ومفردات ليست في متناول أذهان المتلقين، وأيضاً مطلع القصيدة بداية مفتوحة على الاحتمالات، وهي تشبه التقنية التي يستخدمها المبدعون في نهايات قصائدهم، بينما هنا افتتاحية تثير الأسئلة:

لو ما اللزم وزّاني
بيي على منواه

فعلى الرغم من أن هذا البيت يشرح سبب القصيدة، وهو التزام الشاعر بمواعيد مسبقة حالت بينه وبين لقاء المحبوب، مما كان له أثر كبير في نفسه، كما هو واضح من (وزاني)؛ الوزا: أي الألم، وهو سبب إنشاد القصيدة، ولكن البيت يفتح أمام المتلقي أسئلة كثيرة، فما انشغالات الشاعر التي تحول بينه وبين المحبوب؟ وأين المحبوب من الشاعر؛ كونه يتحدث عنه بصيغة الغائب، وليس المخاطب؟ ومن المحبوب الذي يتواضع الشاعر لأجله، ويقول إنه سيأتي على ما يتمنى هذا المحبوب؟ ثلاثة أسئلة تنطبع في عقول المتلقين، لها أثرها الكبير من حيرة التائه في الصحراء، حين لا يجد ما يستطيع أن يرشده إلى مخرج، فيلفت انتباهه أي حركة من الحركات، وهنا يمتلك الشاعر زمام المشهد من البيت الثاني كمخرج سينمائي، من خلال تحويل الألم الذي خلّفه بُعد المحبوب عنه إلى لوحة فنية في قصيدته، فاستحضر صورة المحبوب من خلال البيت الآتي:

بـدني لـه يـا فـلاني

شقرا شروى القطاة

هـذا البيـت يصف طريقـة الذهـاب لرؤية المحبـوب، ويختـار الشـاعر أجمـل الإبل، وهي ناقة شـقراء يشـبه لونها لون طائر القطـاة الأشـقر، وهـو بذلك يشـير إلى أوصـاف أخـرى للقطـاة، بصـورة غيـر مباشـرة، وهي سـرعة الالتفات والحركة وضعـف السـاق، وهـي كلهـا أوصـاف جديـدة حينما تمـزج بين الناقـة والقطاة، وهـي ألـوان تنطبـع في أذهـان المتلقـين، وحـركات تثيـر ذاكرتهم لتخيّل هـذا المحبوب الـذي اسـتطاع أن يخلف كمّاً كبيراً من الشـوق في نفـس الشـاعر؛ ليتـرك الحاضـر، ويتخيّـل الماضـي بصعوبـة الانتقـال، حيث الشـوق أعمق حين يكـون الطريـق أطـول، والحركـة أبطأ:

سبتا لها زفاني

ورشامها تشعاه

لذلك يسـتمر الشـاعر في البيت الثالث بوصف الناقة بمفـردات نـادرة فمفـردة (سـبتا) ضـرب من مشـي الإبـل، وكذلك من عدو الخيل - وهذه تهيئة مناسـبة للبيـت الرابـع - واختيـار مفـردة نـادرة دلالـة على نـدارة الحالـة، ودليـل على اهتمـام الشـاعر بحفظ

التراث اللغوي لبيئته، وبلاشـك قـد حفظ هذا البيت مفـردة كانت في مهـب الانقراض.

والبيـت أيضاً يصف الحركة الراقصـة للناقة (زفان)، واللمعـان الذي يعشـي الناظر (رشـامها تعشـاه)، في وصف سـينمائي فريد؛ فالرشام هو لمعان وتدرج لون، وشـكل الشـيء، وكل ذلـك يزيـد في بهرجـة الصورة، وفـوران نفـس الشـاعر في لحظـة رؤيـة المحبـوب، فالمشـهدية العاليـة في هـذا البيـت تؤكد علـى تجلّي الحالـة الشـعرية في نفـس الشـاعر وخيالـه، وبراعة التصويـر، وبمـا أن القافيـة في متناول الشـاعر، فإن اختيـاره هـذه المفردات دلالـة على قصدية الشـاعر، وصدقيـة الواقـع؛ أي أننـا في محضـر قصيـدة في موضـوع واقعـي غيـر افتراضـي، علـى الرغـم مـن تناولـه في وصـف قـد لا يكـون واقعياً:

توثب شرى لحصاني

لي هـزّ لهّـا عصـاه

يركز الشـاعر على الحركـة في هذا البيت، في وصف نادر، من خلال التشـبيه بالحصان، فاللمعان والألوان والشـكل يمزجها في صورة بسـيطة؛ ليقرّب للمتلقي اسـتيعاب الصـور السـابقة، فيوصفهـا بالحصـان حينمـا يتجاوب مع عصـا صاحبـه، في تناغم ثنائي، وهـو قمـة التواصل بـين الشـاعر والمحبـوب، حيث يكـون الشـاعر متفاعلاً بالإيماء، والمحبـوب متجاوباً بالفـرح، كما هـو وثبة الحصـان المبتهج.

ويلحظ أيضاً براعة الشـاعر في إخفـاء صورة الناقة كوسـيلة نقلـه إلى المحبوب، وتبديلـه بصورة المحبوب، وهـذه الصورة السـحرية غايـة في الروعـة والجمال، وتقنيـة عالية لا تتوافر عند أي شـاعر.

وقـد يكون إيـراد وصف الحصـان في صـورة مبهجة إشـارة إلى وصول الشـاعر إلـى المحبـوب، والتقائه؛ ليضفـي علـى القصيدة جواً مـن الفرحة والسـعادة، بعـد أن بدأ بالألم والفـراق أول أبيات القصيدة، ولعل البيـت الأخير أصدق دليل على ذلك، حين يسـتحضر المحبـوب دون أي تهيئـة أو مقدمـات ومباشـرة، بعـد تناغـم الحصان مع هـزة العصا:

وخلّي حلو العياني

محـال مـا بنسـاه

فهـذا البيـت هـو إجابـة البيـت الأول، ويؤكـد فيـه الشـاعر اهتمامه بالمحبـوب، على الرغـم من صعوبة ظـروف التلاقـي، وبعـد ثلاثـة أبيـات مـن الوصـف يخفّـف من ألمـه المذكـور في البيـت الأول، ومن خوف المحبـوب من ابتعاد الشـاعر عنه بهـذا البيت، فالبيت الأخيـر لا يؤكد اهتمام الشـاعر بجمـال المحبوب من خـلال وصف نظرات المحبوب فحسـب، بـل يزيد من التأكيـد مـن خـلال اسـتحالة نسـيان هـذا المحبوب الموصـوف بأوصاف فائقـة الجمـال والتركيب.

حصاد التراث

يبرز الجهود الاستثنائية في حماية الموروث الإماراتي

يعدّ معهد الشارقة للتراث مؤسسة علمية وأكاديمية، وصرحاً ثقافياً بارزاً، أسهم، على مدى ست سنوات، إسهامات قيّمة ومعتبرة في تعزيز قيم التراث الإماراتي، وزرع الاعتزاز به في نفوس الأبناء، وتوسيع دائرة الاهتمام به، علمياً وأكاديمياً وثقافياً، من خلال تطوير المحتوى الثقافي والتراثي والعلمي، وتجويد المناهج والبرامج التعليمية التي باتت تستقطب لفيفاً من الباحثين، محلياً وعربياً.

وقد راكم المعهد عبر السنوات الماضية من الإنجازات الكبرى ما يفوق عمره الزمني؛ ليؤكد أن إنجازات المؤسسات لا تقاس بعمرها التاريخي، وإنما بعطائها، وقدرتها على استشراف مستقبلها، وتحقيق التوازن بين الرؤية والمخرج، وتقديم ما ينفع الناس، ويمكث في الأرض، وقد توّجت تلك الجهود مؤخراً بحصول المعهد على مركز من الفئة الثانية تحت رعاية اليونسكو.

اتساقاً مع الرؤية الشاملة التي انبنى عليها المعهد منذ تأسيسه، في الـ14 من ديسمبر 2014م، في حفظ الهُوية الإماراتية، وصون التراث وتوثيقه، والمحافظة عليه من الاندثار، فقد قامت استراتيجيته على مرتكزات أساسية، هي:

- **المسار الأكاديمي:** أطلق المعهد الدراسة في الدبلومات المهنية الخمسة: (التراث الثقافي غير المادي، إدارة المتاحف، التراث العمراني، إدارة المؤسسات الثقافية والتراثية، ترميم المخطوطات والوثائق)، عن بُعد، اتساقاً مع الإجراءات الاحترازية في ظل انتشار جائحة كورونا، كما استطاع تخريج أكثر من 500 طالب وطالبة، في شتى مجالات التراث الثقافي، ابتداء من عام 2016، بالإضافة إلى إبرام مذكرات تعاون مشترك في المجال التعليمي والنشر مع المؤسسات الأكاديمية والتعليمية، في الإمارات وخارجها، ومنها: جامعة الشارقة، والمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث بالرباط، بالإضافة إلى مؤسسات علمية عالمية.

- **الفعاليات والبرامج والأنشطة التراثية والثقافية:** يُنظم المعهد على مدار العام 4 فعاليات كبرى، هي: (ملتقى الشارقة للحرف التقليدية - أيام الشارقة التراثية - ملتقى الشارقة الدولي للراوي - أسابيع التراث العالمي في الشارقة).

ملتقى الشارقة للحرف التقليدية
Sharjah Traditional Crafts Forum

- ملتقى الشارقة للحرف التقليدية (الدورة الـ11): احتفت بالشارقة عاصمة الحرف والفنون الشعبية، من خلال إطلاق شعار «حرف شارقية»،

وقد أسهم الملتقى عبر دوراته المتعاقبة في توثيق التراث الحرفي الإماراتي، والاحتفاء بأعلامه ورموزه من الحرفيين والحرفيات.

أيام الشارقة التراثية
SHARJAH HERITAGE DAYS

- أيام الشارقة التراثية (الدورة الـ17): هي تظاهرة ثقافية وتراثية ينظمها المعهد سنوياً في شهر إبريل منذ عام 2003، وانطلقت هذه الدورة تحت شعار «حرفة وحرف»، بمشاركة أكثر من 700 خبير وإعلامي وباحث، من أكثر من 60 دولة من مختلف أنحاء العالم، و22 فرقة دولية، و18 محلية، وحلَّت جمهورية طاجيكستان ضيف شرف، وجمهورية الصين ضيفاً مميزاً، وجمهورية أوكرانيا ضيف أسابيع التراث العالمي في الشارقة، ولاقت إقبالاً كبيراً، وتجاوز عدد الزوّار الـ260 ألف زائر.
- أما الدورة الثامنة عشرة، فقد تأجلت بسبب انتشار جائحة كورونا.

الراوي
ملتقى الشارقة الدولي للراوي
Sharjah International Narrator Forum

- ملتقى الشارقة الدولي للراوي (الدورة الـ19): انطلقت تحت شعار «ألف ليلة وليلة»، احتفاءً بحملة التراث الشفهي من الرواة والإخباريين، وعنايةً بكبار السنّ وتكريمهم، والاستفادة من خبراتهم وموروثهم الثقافي الزاخر، وحلّت جمهورية إيطاليا ضيف شرف على الملتقى، كما شارك فيه أكثر من 97 مشاركاً، من أكثر من 43 دولة، ولاقى إقبالاً كبيراً، وتجاوز عدد الزوار الـ4000 زائر.
- أما الدورة العشرون، فكانت احتفاء بعشرين عاماً على تكريم الرواة وحملة الموروث الشعبي، إلا أنها نُظمت افتراضياً؛ بسبب انتشار جائحة كورونا.

- أسابيع التراث العالمي في الشارقة: برنامج تراثي وثقافي يحتفي بتراث العالم الثقافي شهرياً، بما يشمله من حِرف تراثية، وفنون شعبية، وطبخ تقليدي، وألعاب شعبية، وغيرها، وقد بلغ عدد الدول المستضافة في عام 2019، 8 دول، هي: (الجزائر - كازاخستان - غانا - أوكرانيا - كينيا - بلغاريا - سان مارينو - السنغال). بمشاركة 224 فرداً من الدول المستضافة، كما بلغ عدد البرامج الفكرية المصاحبة 8 برامج، وأكثر 10 معارض مصاحبة للأسابيع. وقد راوح عدد الزوار بين 700 و2500 زائر.
- وخلال العام الماضي (2020)، ومع انتشار جائحة كورونا، فقد تم استحداث برنامج ثقافي شهري افتراضي، باستضافة دول شقيقة وصديقة، اتساقاً مع رؤية البرنامج العام.
- وبالإضافة إلى الفعاليات الرئيسة، يحتفي المعهد بالفعاليات والمناسبات الوطنية: (اليوم الوطني -

يوم الشهيد - يوم العَلَم - يوم المرأة الإماراتية - يوم التّسامح)، والشعبية: (حق الليلة - بشارة القيظ)، والعالمية: (اليوم العالمي للقهوة - اليوم العالمي للتراث السمعي البصري - اليوم العالمي للسعادة)، والبرنامج الثقافي الشهري، الذي اشتمل على ندوات علمية وحلقات نقاشية وورش عمل فنية وتعليمية.

- **جائزة الشارقة الدولية للتراث الثقافي:** جائزة تقديرية يمنحها المعهد للأفراد أو المجموعات أو المشروعات، تكريماً للجهود المبذولة في مجال حفظ التراث وصونه، وقد أكملت دورتها الثالثة العام قبل الماضي 2019، وقد تأجل إطلاق الدورة الرابعة؛ بسبب انتشار جائحة كورونا العام الماضي.

- **الدراسات والنشر:** يعمل المعهد على رفد المكتبة الإماراتية والعربية بموضوعات علمية قيّمة، في شتى مجالات التراث الثقافي والأنثروبولوجيا والموضوعات ذات الصلة، وقد بلغت إصداراته نحو 300 عنوان، منها كتب وموسوعات وكتيّبات وأدلة ومطبوعات، من بينها: (مكنز التراث الثقافي غير المادي، التراث الثقافي في الإمارات، معجم الأدوات في التراث الإماراتي، معجم مصطلحات التراث العمراني في الإمارات وغيرها، بالإضافة إلى إطلاق معجم مسميات الأماكن والبقاع في المنطقة الوسطى بإمارة الشارقة).

تتكوّن من 126 قطعة لـ 126 تحتفي بمعالم الإمارات

جامعة الشارقة و «الشارقة للتراث» يطلقان جدارية فنية ثلاثية الأبعاد

أطلق معهد الشارقة للتراث، بالتعاون مع كلية الفنون الجميلة والتصميم في جامعة الشارقة، مؤخراً، بمركز المنظمات الدولية للتراث الثقافي في المدينة الجامعية، جدارية فنية ثلاثية الأبعاد، تحمل رمز الهوية الإماراتية، قدمتها الكلية هدية للمعهد، بمناسبة اليوم الوطني الـ49 لدولة الإمارات، عبارة عن موزاييك من إبداعات طلبة السنة الأولى في الكلية، حمل اسم «مشروع الإمارات»، ويتكوّن من 126 قطعة، لـ126 طالباً من السنة الأولى.

جاء الإهداء في سياق تعزيز التعاون المشترك بين جامعة الشارقة، ممثلةً في كلية الفنون الجميلة والتصميم، ومعهد الشارقة للتراث، الذي تمّ تأطيره ضمن اتفاقية التعاون المشتركة الموقّعة بين المعهد والجامعة، بهدف تعزيز التعاون الثقافي والتبادل العلمي في المجالات كافة، التي تتّصل بمجال اختصاص الجانبين، وقد أثمر ذلك التعاون العديد من المشاركات الفنية والثقافية المتميزة، التي من بينها معرض حداثة التراث، الذي احتضنه المعهد بتنظيم من الكلية، العام الماضي.

ديمومة العمل المشترك

وذكر سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «كل الشكر والتقدير لكلية الفنون الجميلة والتصميم في جامعة الشارقة، حيث تربطنا بها علاقات عمل وتعاون وتنسيق يتجلى في كل مرة بأشكال وألوان متنوّعة، تكشف عن إبداعات ومواهب، وحرص على ديمومة العمل المشترك، وتبادل الخبرات والتجارب والمعلومات والمعارف».

وأضاف أن: «الكلية قدمت للمعهد هدية لا تقدّر بثمن، من إبداعات طلبتها، عكست مواهب وإمكانات وولاء وانتماء إلى الوطن والقيادة الرشيدة، حيث جاءت بمناسبة اليوم الوطني الـ49 للدولة، وحملت اسم مشروع الإمارات».

هدية فنية تراثية وطنية

ومن جانبها، قالت الدكتورة ناديا الحسني، عميد كلية الفنون الجميلة والتصميم في جامعة الشارقة: «بدايةً نتقدم بالشكر والتقدير إلى معهد الشارقة للتراث، وجهوده في مختلف مجالات التراث، وللشراكة الحقيقية التي تربطنا مع المعهد، خصوصاً أن رؤية المعهد ورؤية الكلية شبه متطابقتين، ليس من ناحية إحياء التراث فقط، بل في العمل على أهمية وضرورة دمج التراث في الحياة المعاصرة».

ولفتت عميد كلية الفنون الجميلة والتصميم في جامعة الشارقة، إلى أن المشروع هو شكر خاص لمعهد الشارقة للتراث، تقديراً للجهود التي يبذلها المعهد مع أساتذة وطلبة كلية الفنون الجميلة والتصميم، وهو بداية خير لأعمال جديدة مشتركة سترى النور في المستقبل.

بفعاليات متنوّعة وأنشطة وبرامج تراثية جاذبة ولافتة

«الشارقة للتراث» يشارك في مهرجان ضواحي (9)

يشارك معهد الشارقة للتراث في فعاليات النسخة التاسعة من مهرجان ضواحي، الذي تنظمه دائرة شؤون الضواحي والقرى في حديقة المتنزه، والذي انطلق في 10 ديسمبر ويستمر إلى 2 يناير المقبل، حيث سيكون الزوّار والجمهور على موعد مع تشكيلة غنية من البرامج المميزة، والأنشطة والفعاليات المتنوعة، التي تشكل فرصة حيوية وعملية للجميع، من أجل قضاء أوقات ممتعة وترفيهية في مساحات وفضاءات متكاملة، تستهدف الكبار والصغار والعائلات.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «يحرص معهد الشارقة للتراث على المشاركة في مهرجان ضواحي كل عام، فدائرة شؤون الضواحي والقرى شريك استراتيجي للمعهد، كما أن المعهد يشارك في نسخة هذا العام بحزمة من الأنشطة التراثية والمجتمعية، التي تستقطب جمهور الثقافة والتراث، ورواد وزوّار المهرجان، في ظل إجراءات احترازية بسبب جائحة كورونا، ما يضفي على هذه الدورة طابعاً استثنائياً».

شرطة الشارقة بالتعاون مع «الشارقة للتراث» ينظمان معرض

«زايد رجل المواقف الإنسانية»

تضامناً مع اليوم العالمي لحقوق الإنسان، الذي يوافق العاشر من ديسمبر من كل عام، نظّمت القيادة العامة لشرطة الشارقة، ممثلة في إدارة المؤسسة العقابية والإصلاحية، معرض صور، بالتعاون مع معهد الشارقة للتراث، بعنوان «زايد رجل المواقف الإنسانية»، بحضور سعادة العميد أحمد شهيل، مدير المؤسسة، والعقيد منى سرور، رئيس الفريق الفرعي لحقوق الإنسان بشرطة الشارقة، والسيد بوريس زنامنسكي، نائب ممثل مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، والمقدم عبدالرحمن ساحوه، رئيس قسم الأمن بالمؤسسة، وعدد من ضباط المؤسسة، واستهدف هذا المعرض موظفي المؤسسة العقابية ونزلائها، ويبرز الدور الدولي والرائد للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان،

والمواقف الدولية التاريخية، على المستويين العربي والإسلامي، فقد كان شخصية محورية داعية للسلام، ولتقوية روابط الأخوة، ووشائج القربى على الصعيد الإقليمي والعربي والدولي، فضلاً عن إسهاماته المثمرة في بناء علاقات دولية قائمة على الاحترام المتبادل بين الشعوب، ومرتكزة على مبادئ الحق والعدل والمساواة، وترسيخه مكانة دولة الإمارات في المجتمع الدولي، التي تكشف مدى نجاح سياسة زايد، حيث تم عرض صور وفيديوهات وثائقية نادرة عن أهم الإنجازات المتحقّقة في دولة الإمارات.

كما تخللت المعرض ندوه تراثية قدّمها الدكتور سيف البدواوي، الباحث في تاريخ الخليج العربي، تحدث خلالها عن مسيرة الاتحاد، ودور الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، في إرساء القوانين الإنسانية، وتحقيق العدالة لشعب دولة الإمارات، والمقيمين فيها.

وأكد سعادة العميد أحمد شهيل، مدير المؤسسة العقابية والإصلاحية بالشارقة، حرص الإدارة على احترام حقوق الإنسان، وهي بمثابة مرافق لإعادة التأهيل. حيث تطبق دولة الإمارات القواعد النموذجية لمعاملة السجناء في المؤسسات العقابية والإصلاحية في الدولة. ويتم فصل المدانين وفقاً لطبيعة جرائمهم، ويتم التعامل معهم دون تمييز أو تفريق بينهم، فالنزيل يعامل معاملة تستهدف إصلاحه وإعادة تأهليه، ويتمتع بالمعاملة الإنسانية التي تحفظ له كرامته، كل ذلك ليكون عضواً فعالاً في المجتمع، وتحفظ كل حقوقه، كما أننا في المؤسسة لا ننسى أسر النزلاء، حيث قمنا بالتعاون مع مركز الشمس الطبي التشخيصي، بمنح (30) أسرة من أسر نزلاء المؤسسة كوبانات لفحوص طبية مجانية، تتمكن من خلالها الأسر من القيام بعمل فحوص، وتقديم الاستشارات المجانية لها، كل حسب حالته الصحية. وفي الختام قام سعادة العميد شهيل، بتكريم المشاركين والداعمين للمعرض، وتقديم الدروع وشهادات التقدير لهم.

جولة افتراضية في متحف الحرف التقليدية بخورفكان

نظم مكتب معهد الشارقة للتراث في خورفكان مؤخراً جولة افتراضية إلى متحف الحرف التقليدية بالتعاون مع فرع جامعة الشارقة في خورفكان لعدد من منتسبي الجامعة بهدف تعريفهم بمحتوياته والأروقة التابعة له.

وحصل الطلبة على معلومات غنية عن الحرف التقليدية وأهميتها وقيمتها ومكانتها وأعربوا عن تقديرهم لجهود المعهد ودوره في الحفاظ على التراث وحمايته وصونه.

ورشة افتراضية عن المدبسة

نظم معهد الشارقة للتراث فرع خورفكان، ورشة افتراضية عن المدبسة، (غرف حفظ التمر)، هدفت إلى تعريف المشاركين بتاريخ المدبسة وآلية عملها وطرق تخزين الدبس، قدمها الراوي خلفان محمد، وفي نهاية المحاضرة كرّم خالد الشحي، مدير فرع المعهد في خورفكان، الراوي خلفان محمد، تقديراً لجهوده.

الزراعة في الأدب الشعبي في الإمارات «1»

الأمثال الشعبية

تحضر الزراعة في كثير من ألوان الأدب الشعبي في الإمارات، إذ كانت قديماً مصدر الدخل الرئيس للأهالي في المناطق الجبلية والواحات، فلا غرابة أن تكون من الموضوعات التي اختصت بها الأمثال والأقوال الشعبية والحدوات والحكم، ما جعل المأثورات الشعبية تحمل الكثير مما يتعلق بالمزارعين وأصحاب المزارع من شؤون الغرس والفلاحة.

خالد صالح ملكاوي
باحث وإعلامي – الأردن

لاسيما ما تعلق بشجرة النخيل التي كانت عصب حياة الإنسان في الإمارات.

ويحتل المثل الشعبي الجزء الأكبر من المأثورات الشعبية؛ لأن المثل، كما يقول ابن المقفع، «أوضحُ للمنطق، وآنَقُ للسمعِ، وأوسعُ لشُعوب الحديث». بل يعتبره العسكري في جمهرة أمثاله «من أَجَلِّ الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله؛ لقلّة ألفاظه، وكثرة معانيه، ويسير مؤونته على المتكلم»؛ لذا فقد غدا من أكثر الأشكال التعبيرية المنطوقة تناولاً وتعبيراً عن تجارب الإنسان، فهو، كما يقول أحمد تيمور باشا في أمثاله العامية، «وإن جاء بألفاظ غير فصيحة، لا يعدم الطلاوة النثرية، والرشاقة اللفظية، التي هي في الأمثال الفصحى».

فالأمثال من أبلغ الحكمة، وأَجَلِّ الكلام وأنبله، لقلّة ألفاظها وإيجازها، وكثرة معانيها وإصابتها، ويسير مؤونتها على المتكلم، ترضاها العامة والخاصة، في لفظها ومعناها. ولحسن التشبيه فيها، تستحضرها العقلية الشعبية كلما توافرت الدواعي لذلك، فهي مؤونة وزاد يستعان بهما كلّما دعت الضرورة، وهي نبت الخبرة للتعبير عن تجارب الإنسان، بل هي زبدة الكلام وجوهر الأمر، مهما تنوع الحديث وتشعَّب.

ولأن الزراعة في الإمارات شكّلت مصدر الدخل الرئيس للأهالي في المناطق التي تصلح للزراعة، جبلية كانت أو واحات، فقد حملت الأمثال الكثير مما يتعلق بالمزارعين من شؤون الغرس والفلاحة، لاسيما ما يختص بشجرة النخيل التي كانت عصب حياة الإنسان في الإمارات، فتحدثت عن المقيظ في الواحات الزراعية في موسم القيظ، وقدمت الكثير حول زراعة النخيل والاعتناء به، عبر نصائح زراعية لأصحاب مزارع النخيل، في زراعة فسائل النخل ومختلف عمليات الاعتناء بالنخلة لتنتج محصولاً جيداً؛ من تلقيح النخلة، وتنبيتها، وجني التمر، وخطوات الاستعداد للموسم الجديد بجداد عذوق النخلة وتجهيزها والعناية بها، بحيث شكّلت هذه الأمثال منهجاً علمياً لزراعة النخيل.

كما لم تغفل الأمثال الشعبية الإماراتية ارتباط الزراعة بمفاصل الحياة اليومية، فأسقطت كثيراً من المفردات والمعاني الزراعية على العديد من حيثيات الحياة الاجتماعية لأهل الإمارات. ومن الأمثال الشعبية المتعلقة بالزراعة:

«أبعدها عنّي، وخُذْ تمرها منّي»

جاء هذا المثل الشعبي على لسان النخلة، إذ تقول لمالكها أو المزارع المكلّف فسلها: أبعد النخلة التي تريد فسلها مسافةً كافيةً عنّي، وسأعوّضك كمية التمر الذي تتوقّعه منها.

ومن هذا المثل تُكتشف الحكمة من ترك المسافات الكبيرة التي ينبغي تركها بين النخيل عند فسلها أو زراعتها، والتي تصل أحياناً إلى عشرة أمتار. ويفيد ذلك النخلة في تقوية جذعها، وحصولها على حاجتها من الغذاء الكامل، دون منافسة أشجار النخيل الأخرى، فيعود ذلك على حملها من الثمار؛ فيغزر إنتاجها، ويجود محصولها من الرطب والتمر.

يستخدم هذا المثل، الذي يقال على لسان النخلة، كنصيحة للمزارعين عند زراعة فسائل النخل الجديدة.

«الحَب يطلع على بذره»

أي أن ثمر الشجرة يأتي حسب البذرة التي زرعت، فإن كانت البذرة من أصلٍ طيّبٍ كانت النتيجة طيّبة، وكان الثمر ممتازاً، وإن كانت البذرة سيئة، كانت النتيجة غير صالحة، وكان الثمر سيئاً.

وهذا ينطبق على الإنسان وسيرته، واختياره أم أبنائه، والحديث الشريف يقول: «تخيّروا لنطفكم، فإن العرق دسّاس». فإن كان الزوجان ذوي سيرة طيّبة وأخلاق عالية، فإن أبناءهما ينشؤون نشأة

صالحـة مثلهما، والعكس كذلك، إذا كان الآباء سـيئين فلربمـا يتأثـر الأبناء بهـم. يضرب هذا المثل الشـعبي مبالغةً في اكتسـاب العادات الوراثية الجيدة، أو في ذم اكتسـاب العادات السـيئةً، من خـلال الوالدين.

«إن رَكَبْت اركب الامهار، وإن رعيت ارع النوّار»

ويضيفون: «والمرعى المرعايّ لا ترعى فيه».

والأمهـار جمـع مهرة، وهـو صغير الخيل، أمـا النوّار فهـو الزهـر، ومفردهـا نـوّارة، وهـي هنـا كناية عن المراعـي الجديـدة. فـإذا أردت أن تقتنـي دابـة أو مركوبـة فعليك بالخيول الصغيرة؛ لأنهـا تتميّز بالقوة والسـرعة، أمـا إذا أردت الرعـي، فعليـك بالمراعـي الخضـراء المزهرة.

ويضـرب هـذا المثـل الشـعبي للحـثّ علـى حسـن الاختيـار في كل شـؤون الحياة؛ مثل الـزواج من الفتاة البكـر، وشـراء الأرض التـي لـم تزرع مـن قبل.

«البطيحة تضحك على المنخل»

البطيحة هي مسـمّى قديم لحزم الحشـيش (الثمام)، وجمعهـا (بطايـح). والثمـام نبـات صحـراوي حولي معمّـر، يخضـرّ بعد سـقوط الأمطـار، وبعدمـا يكبر يصبـح علفـاً، يتم قصّـه وجمعـه على هيئـة حزم أو بطايـح، ثم يُحمل علـى ظهور الجمال ليبـاع في المدن كأعـلاف للحيوانـات. والمنخل إناء معدني أو خشـبي محـزّم، ينخـل فيه القمـح لفصل الشـوائب عنه.

يضـرب هـذا المثـل الشـعبي انتقـاداً لمن يعيـب على غيـره خصلـة وهو مبتلـى بمثلهـا؛ فمن المعـروف أن البطيحـة مـن الحشـائش الجافة والخفيفـة، وهي لا تحفـظ المـاء ولا تقـي الشـمس، ومثلهـا مثـل المنخل الذي لا يحفـظ الماء أيضاً؛ لذلـك فالبطيحة تضحك مـن المنخـل وتعيّـره، وهي مثلـه ولا فـرق بينهما.

«جوع الشوع لي يْكسّر الضلوع»

الشـوع هي شجرة جبلية تعيش في سفوح الجبال ليس لهـا أوراق، تتحمـل العطش والحـرارة، وتتغذى عليها الجمـال والحيوانـات. وثمة مثل شـعبي آخر يتشـابه مـع هـذا المثـل، ويختلف معـه في المعنـى والدلالة، إذ يقـول: «لي تاكل الشـوع لا تحفـا ولا تيوع».

ومثلنـا هـذا هـو دعـاء علـى الشـخص بـأن يجـوع كشـجرة الشـوع التي تعاني دائماً العطش، وأن تتكسر ضلوعـه من شـدة هـذا الجـوع. ويُضـرب في الدعاء علـى شـخص جائـع، كثير الإلحـاح علـى الأكل، وهو مـن بـاب الدعابة والتسـلية.

«ترعى وعينها في (الجري)»

الجـري: منطقـة مـن مناطـق رأس الخيمة، وتشـمل مناطـق السـاعدي والياهلـي وغيرهمـا، والمنطقـة ككل تسـمى «سـيح الجـري»، حيث تمتـاز بخصوبتها الشـديدة ومرابعهـا الخضـراء، لاسـيما بعـد نـزول الأمطار في فصل الشـتاء. وتعتبر من المناطق الجميلة في الإمـارات، ومـن المراتـع المحبّبـة للإبل.

ومعنـى هـذا المثـل الشـعبي أن ناقتنـا ترعـى، ولكن عينهـا تهفـو إلـى «الجـري»؛ أي عينها علـى مراعي منطقـة الجـري، إشـارةً إلـى مـدّ نظرها إلـى حيث كانت ترعى سـابقاً في «سـيح الجـري» برأس الخيمة، إذ يميـل المخلوق إلى المنطقة التي نشـأ وترعرع فيها. ويضرب لمن يتعوّد الشـيء ولا ينسـاه، بل يتطلّع ويهفو إلـى أمـر تركـه، ويرغب في عودتـه مرّةً ثانيـة، والمثل من بـاب الذمّ.

«لأجل الجت يشرب الحشيش»

الجَـتّ هو البرسـيم، وهو أحد أفضل أعـلاف تغذية الحيوانـات، وعـادةً مـا يـزرع بـذوراً، ويحصـد عـن

طريق قطعه بالحفّ، وذلك كل شـهر أو ثلاثة أسابيع. ومعروفٌ عن البرسـيم أنه يعيش فتـرةً طويلة، وبعض سـلالاته تعيش أكثر من عشـر سـنوات.

ويقصـد بهـذا المثـل أن بعـض النـاس يقومـون بأمر مـا بغيـة الحصـول علـى غاية معينـة، وقد يسـتفيد آخـرون غيرهم من عملهم هـذا دون أن يقصدوا ذلك أو يشـعروا به.

«الحنظلة ما تندري يحّة»

الحنظلـة نبتـة بيئية بريـة قرعيـة بحجـم البرتقال، طعمهـا مـرّ، واليحّة هي الجحّـة؛ أي البطيخ الأحمر، وتنـدري تصبح أو تتحـول وتتبدل.

أي أن ثمـرة الحنظلـة المـرّة لا يمكـن أن تتحـول إلى بطيخـة حمراء حلـوة. ويقال هـذا المثل الشـعبي من بـاب الـذمّ؛ فيضرب مبالغـةً في بقاء الطبـاع الخبيثة وثباتهـا حيـث الشـخص الخبيث لا يتغيّـر؛ لأن أصله الخبث، ولا تسـمح لـه طباعـه المتأصلة بـأن يغيّرها مهما تصنّـع ذلك.

«حوار ربيع، إن رفع راسه رضع، وإن وطّاه شبع»

حوار هو ابن الناقة الصغير، وربيع هو فصل الربيع.

ويقصـد بـه الغذاء الـذي ينعم به ابـن الناقة الصغير المولـود في فصـل الربيـع الـذي يكثـر فيـه العشـب والمرعـي، إن رفع رأسـه إلى أعلى سـيجد ضرع أمه، وسـيرضع منـه، وإن طأطـأ رأسـه إلـى الأرض وجد العشـب الأخضـر مرعـى وأكل منـه، فهـو يعيـش في بحبوبة من العيش، ولا يشـتكي الجـوع أبداً. فيضرب المثـل مبالغـةً في رغد العيـش والسـعادة في الحياة.

«ما دام راعي المال راضي.. البيدار شو يعورَه راسه»

والبيـدار هـو المـزارع أو الفـلاح، ويعوره تعنـي يؤلمه، ويضـرب هـذا المثـل بالإنسـان مـا دام هـو صاحـب الحـلال أو الملـك، وهـو راضٍ عن تصرفاتـه وإعطاء مـا يملـك للآخرين، إذ لا يحقّ لمن هـو تحت إمرته أن يرفـض هـذا العطاء.

«تحبّ لحضارة من عيمان»

لحُضـارة: أصلهـا (الحضارة)، وهي اسـم مـن الفعل حَضَـر، يحْضـر، حضـارة، وهـي المقيـظ أو السـفر إلـى المقيظ في الواحـات؛ أي أنها تحضر أو تسـافر، ويسـمى من يقوم بذلك «الحضّـار»، وهم أهالي المدن ممـن يحضـرون في مواسـم الصيـف خـارج مدنهم، وعيمـان يقصـد بها مدينـة عجمان.

هـذا المثـل في امـرأة تفضّـل الذهـاب إلـى المقيظ في الواحـات الزراعية في موسـم القيظ من مدينة عجمان، وقـد جاء تفضيل عجمان كنقطة لسـفرها؛ لأن عجمان في نظرهـا مشـهورة بالتسـامح والمعاملـة الجيـدة لمـن يقطنهـا أو يعبر منها. ومعنى المثل أن ما يحبه الإنسـان يكـون دائماً ميـالاً إليه، ويسـعى في طلبه.

قائمة المصادر والمراجع

1. الأمثـال والألغـاز الشـعبية في دولـة الإمـارات العربيـة المتحدة، عبيـد راشـد بن صنـدل، العـين: مركـز زايـد للتـراث والتاريخ، الطبعـة الأولـى، 2001م.
2. الأمثـال العاميـة، أحمد تيمور باشـا، مصر: لجنة نشـر المؤلفات التيمورية، الطبعـة الثانية، 1956م.
3. جمهـرة الأمثـال، أبوهـلال العسـكري، تحقيق محمـد أبومحمد الفضـل إبراهيـم وعبدالمجيـد قطامـش، بيـروت: دار الفكـر، الطبعـة الثانيـة، 1988م.
4. ديـوان الأدب، أبوإبراهيـم إسـحاق بن إبراهيـم الفارابي، تحقيق أحمـد مختار عمر، القاهـرة، (د.ن)، 1947م.
5. المفصـل في تاريـخ الأدب العربـي، علي الجـارم، القاهرة: مطبعة مصر، 1934م.
6. موسـوعة الأمثـال والأقـوال الشـعبية في دولة الإمـارات العربية المتحـدة، راشـد أحمـد المزروعي، الجـزء الأول، الطبعـة الأولى، أبوظبـي: المؤلف نفسـه، 2016م.

التأليف في التراث الشعبي

إن عملية التأليف في التراث الشعبي تأتي ضمن منظومة متكاملة في حفظ التراث، والحفاظ عليه، ونقله إلى الأجيال القادمة، ونشره للاطلاع عليه ومعرفته من قبل المقيمين والسيّاح.

فهد علي المعمري
باحث – الإمارات

تأتي مرحلة التأليف في التراث الشعبي بعد مرحلتين سابقتين لها، هما مرحلة الجمع الميداني، ثم مرحلة التدوين والتوثيق، ليبدأ بعدهما الباحث أو الكاتب أو المؤلف طريقه في عملية التأليف في التراث الشعبي معتمداً على خمس نقاط رئيسة ترسم الأُطُر العامة والخطوط العريضة للمحتوى المراد التأليف فيه، وهذه الأُطُر أو الخطوط العريضة هي:

1. اللغة – 2. المحتوى – 3. المصادر – 4. الرواة – 5. الخطوات.

وبهذه النقاط الخمس تتكامل العناصر المؤهلة لتأليف محتوى تراثي يُعتَدُّ به، ويكون مرجعاً لغيره، وحافظاً للتراث، ومادة جديدة تسد فجوة في مكتبة التراث والموروث الشعبي.

أما اللغة، فالمقصود بها هو لغة الكتابة، ولابد أن تكون اللغة لغةً وسطاً بين الفصيحة ولغة العوام. عوام الناس. وذلك في بعض المؤلفات، وفي بعضها الآخر يجب أن تكون بلغة العوام؛ لكي تصل إلى ما تريده من تأليف الكتاب، لا سيّما كتب الأمثال والألعاب والمصطلحات والحرف والمهن التي يجب أن تكتب كما كانت تلفظ عند الأجداد والآباء، مع تشكيل الحروف، وإبانتها؛ لكي يتم نطقها بشكل صحيح.

أما المحتوى، فهو مادة التأليف المراد الكتابة فيها، فهناك كثير من الموضوعات التي تتعلق بالتراث الشعبي، ومنها التراث المادي، من خلال المقتنيات والتراث العمراني في المواقع والآثار والمباني، والتراث غير المادي، من خلال العادات والتقاليد والشعر والأمثال والحرف والمهن والمأكولات الشعبية والأزياء والحلي والطب الشعبي والنباتات الموسمية، فتحديد المحتوى وتتبعه من جميع جوانبه، وإشباعه بمادة وافية، تنعكس إيجاباً في عمل التأليف وإبراز المحتوى.

أما المصادر فهي عنصر أساسي، ولابد من وجوده؛ لأنه يشكل دعامة متينة لكل مُؤَلِّفٍ في التراث الشعبي، وتتعدد هذه المصادر وتتنوع بطبيعة المحتوى، وأهمها المخطوطات المتعلقة بالموضوع ذاته، وتنقسم إلى مخطوطات رسيمة تمتلكها جهات حكومية، ومخطوطات شخصية يمتلكها عدد من الأشخاص المهتمين، ثم الكُتُب التراثية المُؤَلّفَة في الموضوع ذاته، والاستزادة من هذه الكتب تؤدي بطبيعة الحال إلى وفرة المعلومات، ثم المراجع من أمهات الكتب، وكتب التراث العربي التي تطرقت إلى الموضوع ذاته، ثم المجلات والدوريات المتخصصة التي تحدّثت عن الموضوع المراد التأليف فيه، ثم المواقع الإلكترونية المعتمدة والموثوقة بما تنشره من معلومات تتصل بالموضوع ذاته.

أما الرواة، فقد أفردت لهم دواراً متخصصاً، ولم ألحقهم بالمصادر؛ وذلك لأهمية دور الراوي في نقل محتوى التراث الشعبي بين الماضي والحاضر، وغزارة المعلومات التي يتم أخذها عن طريق أكثر من راوٍ؛ والتي تشكّل مادة وافرة، ربما لا يجدها المؤلف في مصادر أخرى، وهناك كثير من المرويات التي تكون منفردة للمؤلف، وتُكتب وتُنشَر لأول مرة، وهي إضافة جديدة في مؤلفات التراث الشعبي.

أما الخطوات، فهي خطوات مراحل التأليف منذ الفكرة حتى طباعة المُؤَلَّف، وجميعها مراحل ذهنية تحتاج إلى التفكير السليم، والعمل المُخَطَّط له بشكل صحيح؛ ليتم إخراج كتاب تراثي جديد، يوضع في مكتبة التراث الشعبي، وهذه الخطوات تبدأ بالفكرة العامة، بداية باختيار واعتماد المحتوى المُؤَلَّف، بحيث يتم تخصيص المحتوى وعدم التشعّب إلى موضوعات كثيرة، ثم اختيار العنوان المناسب للمحتوى، والدَّال عليه صراحة لا مجازاً أو كنايةً أو توريةً أو بعيداً عنه، ثم عمل الفهرس المقترح للمحتوى شاملاً المقدمة والأبواب والفصول والفهارس العامة، ثم الشروحات في الهوامش، بذكر المصادر والمراجع، والتعريف بالشخصيات، وأسماء الأماكن والمواضع بتشكيل الحروف، ثم شرح معاني الكلمات.

«الصعود إلى السماء»

لحارب الظاهري

لاشك في أن لكل إنسان ذكريات كثيرة، حتى إنه ينسى مع مرور الوقت بعضها، لكن هناك ذكريات سعيدة تمر علينا ولا يمكن نسيانها، مثل النجاح والوظيفة والشهادة العلمية، والمرة الأولى التي سافر فيها، وهذا ما يرسخ لدى أي طالب درس خارج وطنه، والكاتب واحد من هؤلاء الطلبة الذين حصلوا على الابتعاث خارج دولة الإمارات، لتكون دراسته الجامعية في أمريكا.

د. فهد حسين
ناقد من البحرين

كما هو معروف فإن مع خروج العديد من الطلبة خارج حدود دولتهم، ولأول مرة للدراسة؛ لابد أن تبدأ معه المفاجآت التي تحدث في شؤون كثيرة تتعلق بالدراسة والحياة والسكن والمعيشة والعلاقات الاجتماعية والدراسية، لاسيما إذا كانت دراسة الطالب في مراحل المدرسة منفصلة، وليست مختلطة، وهنا تبدأ الأبعاد النفسية والعلاقات التي تنمو بين الطلاب والطالبات، والتي تصل أحياناً إلى علاقات عاطفية مؤقتة أو تستمر، وهذا ما كشفته الرواية التي تميل إلى سيرة روائية، وعلى الرغم من توظيف الراوي العليم، وضمير المتكلم طوال أحداث الرواية التي تسيد فيها السرد والوصف من قبل الراوي نفسه، وبرزت بين الحين والآخر بعض الحوارات المقتضبة، فإن هذا التوظيف لم يخلّ بالعمل، بقدر ما أسهم في إعطاء دفعة إلى القارئ؛ لمعرفة ماذا بعد هذا القول أو الحدث أو الحوار، وكيف سينهي السارد سيرته التي تمازج فيها الترحال والسفر والتجارة والعلاقات الاجتماعية والنسوية بخاصة، مع وجود المغامرة التي كانت تشكل بعض تغيير في مسيرة هذه السيرة، تلك المغامرة المحسوبة في عقل السارد، وليس المغامرة المتهورة.

وقد أشار السارد في متن النص إلى المجتمع الطلابي في الغربة، تلك الغربة التي يدركها كل طالب تغرب سنوات عدة عن وطنه وأهله وأصدقائه؛ من أجل التحصيل العلمي، تلك

الغربة المحاطة بأسلاك اجتماعية ونفسية شائكة، وجسور معقدة بطرقها ومنحنياتها التي تظهر بين الحين والآخر، سواء من قبل الطلبة الذين يمارسون دور غسل العقول، ثم شحنها بمعتقدات غير تلك التي جاء بها الطالب، أو من قبل أنظمة الدراسة وقوانين الجامعات، أو في طرائق التعامل مع طلبة السكن الجامعي، أو في المجتمع المحلي والمعيش، كل هذا أشارت إليه الرواية؛ لتؤكد كيف يستطيع المرء أن يكون متزناً في سلوكه الاجتماعي، ومستواه الدراسي، ومدى رسم الخطوط التي تفصله وتقربه من الجماعات الدينية المتطرفة، والأحزاب الفكرية الأخرى، التي تحاول استمالة الطلبة، واصطفافهم إلى هذه الجماعة أو تلك، خاصة أن الرواية تشير إلى زمن هو عقد الثمانينيات، الذي برزت فيه جماعات متطرفة تدعو إلى التغيير باسم الدين، فها هي الشخصية الرئيسة تقول: «الثمانينيات جوهر الزمن الذي تمرد على الحياة»، ص22، وعند انجراف الطالب إلى هذه أو تلك، فإنه يكتشف بعد فوات الأوان ضياعه، وضياع مستقبله، وخسران دولته لطاقاته وعلمه الذي تلقاه من الدراسة الجامعية، والبحث المكتسب، وليس من خلال حشوه بالأفكار التي قد تضره أو تضر بلده، ليكون أحد أفراد المجتمع في البناء والتنمية، وهذا ما بينه السارد بقوله: «كنا طلبة جئنا من محيطنا، ولم نكن نعلم أن الثورات والتنظيمات تنتظرنا.. كنا نحمل مفاهيمنا البسيطة جداً، ولا نعي الحياة، ولكن فوجئنا بأننا نعيش وسط تيارات عديدة لا أول لها ولا آخر»، ص22، ولكن في ظل الحوارات والمناقشات مع بعض أفراد هذه التنظيمات، أكد السارد أن «روح الدين تسري بالمعتقدات، لا بتوليد التنظيمات والثورات»، ص21، وفي الوقت نفسه فالمرء لا يستطيع الابتعاد عن كل الظواهر التي تواجهه في دراسته أو حياته فيما بعد، وإن كانت هذه لا ترتبط بأعراف مجتمعه أو بثقافته، ولكن عليه أن يكون حذراً وهو يقيم العلاقات والتواصل بدوائر هذه الأفكار والتوجهات، وقد بين ذلك إلى صديقته ليلى، حين قال: «أنا عشت مع المتدينين والسياسيين، ومازلت أعيش مع بعضهم»، ص31.

لا أستغرب البتة أن تكون لغة الكاتب القاص والروائي الإماراتي حارب الظاهري، التي تنحو صوب اللغة الشعرية في روايته (الصعود إلى السماء)، ليس في تراكيبها فحسب، وإنما في اختياره، أو توظيفه الجمل والعبارات في سياقات

دلاليـة أخـرى، غير ما هي عليه، لتكـون لغة جمالية مـن جهـة، وشـاعرية مـن جهـة أخـرى، بمعنى أن الكاتب اسـتطاع أن يؤكد الأدبيـة في النص الروائي، ولـم يتركـه في لغـة عاديـة، وإن كانـت عامـة لغـة الروايـة في متنـاول فهـم القراء مـن دون صعوبة أو حاجـة إلـى قامـوس لغوي، ويؤكـد لنا ذلـك مدخل الروايـة الـذي يعـد مـن العتبـات المهمـة لأي عمل إبداعي، إذ يقول السـارد: «هذه المرة وجدت نفسـي أسـبح في الكـون محلقـاً بجناحـي طائـر مـن وطن إلـى آخر، بيتي السـحاب، والمدى طريقـي»، ص15، بل تناثـرت الجمل التي تميـل في تركيبها وصياغتها إلـى الشـعرية عبر صفحـات الرواية، وهـذه أمثلة: «أعلـم أن لي فضاء ليل، وذاكرة نهـار»، ص15، «بعد أن تململـت مـن بيـوت تصهـر عظامك، وشاشـات تتلذذ في سـحق الوجود»، ص16، «من أشـد الصعاب أن تختـرق بصوتـك جسـداً مغلفـاً بفصـول الوقت والزمـن»، ص16.

لـم يسـتطع الكاتـب الهـرب مـن فضـاء الروايـة ومتنهـا، وإن لم يظهر اسـمه بين ثناياهـا، بل اختبأ في جلباب السـارد حمد، الشـخصية الرئيسـة التي درسـت في أمريـكا، وبـات العمـل التجـاري ديدنها الـذي فـرض عليـه السـفر بـين أمريـكا وألمانيـا، فضـلاً عـن الـدول الأخـرى، فحمـد بـات رجـل أعمال، ولديه الشـركات والمؤسسـات خـارج وطنه، وهـذا حـوار دار بينـه وبين إحـدى صديقاتـه، فما «حصـل أن التقارير الأخيرة تشـير إلـى عدم أهلية الشـركة في الاسـتمرار في السـوق، وبهـذا درسـنا الوضع.. وقـررت تقليص بعض الإدارات..»، ص88، هـذه الشـخصية أحبـت السـفر وعشـقته، كمـا عشـقت الطبيعة التي ترى الشـخصية فيهـا النقاء والصفـاء، وبـث السـعادة والمحبة بين النـاس، وهنا يؤكـد أن عالـم الطبيعة هو العالم الـذي يبعدنا عن كل منغصـات الحيـاة، ويخرجنـا من بوتقـة الحزن والألـم، ويرفعنـا عـن تفاهـات الحيـاة وصغائرها، حيـث إن «للطبيعـة مقامـاً مختلفـاً، ونسـيجاً آخر خاويـاً من الطقـوس»، ص31.

بالإضافـة إلـى أن التحليـق في السـماء هـو عامـل يسـهم في شـحذ ذهنيـة الإنسـان، ويخلصـه مـن شـوائب المجتمـع وأحداثـه، ويخلصـه مـن أمراض الوقـت والعصـر، هكـذا كان السـارد لا يكـف عـن الترحـال مـن مـكان لآخـر طـوال الوقـت، وها هو يقـول: «ولعل الأحلام لا تتجدد إلا بالسـفر»، ص15؛ لتعطينـا هذه الجملـة أكثر من دلالة، فالسـفر يمثل سـعادة للمرء كلما اكتشـف سـراً من أسـرار الكون والحيـاة والمجتمعـات، وهـو التاريـخ الـذي يخبـئ حضارات متعددة ومختلفة ترشـد الإنسان إلى البناء والتطـور، وهـو المسـهم في تغيير الحالات البشـرية علـى الصعيـد النفسـي والاجتماعـي والصحـي، ويقـدم ملامح عـن طبيعة الشـعوب، وعاداتها، فقد اكتسـب في أثناء دراسـته بأمريكا صداقـات كثيرة، وتعلـم منهـا «الشـفافية النافيـة للتعقيـد، فالحياة هـي أسـاس التعامـل، إنهـا خاصيتهـم بأن البشـر سواسـية، رغـم اختـلاف الصبغـة الذاتيـة المبالـغ فيهـا»، ص23، وأيقـن أهميـة الاسـتفادة من الوقت

مهمـا كان قصيـراً أو سـريعاً، وهـذا مـا وجـده في محطـات القطـارات للمـدن الألمانية،

فـ«كل من في المحطـة صامتون، تلح عليهـم القراءة، أو تصفـح الهاتـف، أو الكتابة علـى اللابتوب، هدوء يجلـب النعاس»، ص29.

كما أن السـفر يقدم الزاد الثقـافي والمعرفي والأدبي، كلمـا ولجـت المشـهد الثقافي لهـذه الدولـة أو تلك، عبـر مكتباتها، ومعارض كتبها، وسـينماتها، وحضور معارضهـا الفنيـة، فضـلاً عن الموسـيقى، هذا الفن الـذي أشـار إليه السـارد حينمـا كان ينتظـر باحثة (نادين) في الموسـيقى: «وقـد حان الوقـت من أجل أن ألتقيهـا، لتسـتعلم منـي ما كتب حول الموسـيقى العربيـة، وما يمكـن أن تكتبه مـن ذاكرتي»، ص47.

أمـا ما يؤكد السـفر والتواصل مع الآخـر، فقد بينه التـراث العربـي، حيـث يقـول الشـاعر عـن أهمية السـفر والترحـال بـين البلـدان والأقـوام والأمكنة، والشـعر منسـوب إلى الإمام الشـافعي:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا

وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفريج همّ، واكتساب معيشة،

وعلـم، وآداب، وصحـبة ماجد

ولـم يتـرك الروائي الشـخصية الرئيسـة مـن دون أن يلـج عالـم المـرأة، والتفكير فيهـا، وجمالها الذي يربطـه بالمكان والطبيعة والحيـاة، والجمال الخلاب للمـدن التي كان يزورها سـريعاً، أو يمكث فيها مدة مـن الزمـن، ومن هـؤلاء النسـوة الكثيـرات اللواتي التقاهـن في مـدن أوروبيـة وأمريكيـة عديـدة، بدءاً مـن أيـام دراسـته الجامعية، حتـى تخرجـه وعمله وتجارتـه، بعضهـن نسـاء عربيـات، مثـل: بدريـة وليلـى، ولمياء وأمل، وبعضهـن أجنبيات، مثل: نادين، لـورا، لوليتا، كاثي، سـالي، وربما هنـاك كثيرات كن خـارج الذاكـرة، وقت سـرد أحـداث هذه السـيرة، وعنفـوان الشـباب، وتطلعـه الدائم لبنـاء صداقات كثيـرة، بعضهـا كان علاقـات عابرة وسـريعة، مثل: علاقتـه مـع لمياء ذات الجمـال الذي أسـره، ولكن تبعثـرت هـذه العلاقة، وحين جـاءت صديقتها أمل، ولـم تسـتمر فتـرة إلا وقـد ابتعـدا عـن بعضهمـا بعضـاً، حيث أنهـت العلاقة بزواجها، وتكرار سـفره المفـروض عليـه، وهنـاك علاقـات اسـتمرت فتـرة مـن الزمـن، وتخللها الحـب والغرام، مثـل: علاقته بلـورا، أمـا أمل فـكان إعجابـه بها مختلـف، بل لم يكـن قـادراً على البـوح لها بمـا يكنه تجاهها، ولم تسـتطع هـي البوح أيضـاً، ولكن مجمـل التصرفات واللقـاءات توحـي بوجـود علاقـة عاطفيـة، وإن لم تتـوّج بزواج، ولكن باتت لدى السـارد قناعة راسـخة تجـاه العديـد مـن النسـاء اللواتـي يحاولـن بنـاء علاقـات عاطفيـة، تكون مؤقتة أو شـبه ذلك، إذ إن «تعـدد هـذه العلاقات، وربمـا النـزوات، وقصرها، يعـود إلـى ما كانـت النسـاء يفكرن فيـه، وهو كيف يحققـن رغباتهن على حسـاب علاقاتهن، إذ تتنفس العطـور من جلودهن، وتسـاورهن أحلام السـاعات والمجوهـرات، وبهـذا يقتلـن الحـب، فيتجـردن من الطبيعـة»، ص28.

الجاحظ.. الأديب الذي مات تحت كُتبه! والمثقف والساخر الأشهر في زمانه

حسين الراوي
كاتب من الكويت

يقول ساخراً من نفسه، ومن مجتمعه: «ذكرني بعضُ الناس للخليفة المتوكل؛ لكي أعلّم أبناءه الآداب، فلما رآني استبشع منظري، وأشفق على أولاده من قبحي، فأمر لي بعشرة آلاف درهم، ثم صرفني»!

ويقول ساخراً في موطن آخر: «مرة جاءتني أمي وأنا جائع، فوضعت أمامي طبقاً من الكراريس بدل الغذاء، فقلت لها: ما هذا؟! قالت: الذي تجيء به عادةً. فخرجت مغتماً، وجلست بالجامع، وكان هناك موسى بن عمران، فلما رآني مغتماً سألني ما شأنك؟ ثم أخذني إلى منزله وقدم إليّ الطعام، وأعطاني خمسين ديناراً. فذهبت إلى السوق، واشتريت الدقيق، وعدت إلى الدار، فتعجبت أمي، وقالت: من أين لك هذا؟! فقلت لها ضاحكاً: من الكراريس التي قدمتها إلي».

اسمه ونسبه ونشأته: هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري 159–255 هـ، أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها. نشأ فقيراً، وكان دميماً قبيحاً جاحظ العينين، كانت ولادة الجاحظ في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين، وتوفي في خلافة المهتدي بالله سنة 255 هجرية، عرف عنه خفة الروح وميله إلى الهزل والفكاهة، ومن ثم كانت كتاباته على اختلاف موضوعاتها لا تخلو من الهزل والتهكم. طلب العلم في سن مبكّرة، فقرأ القرآن ومبادئ اللغة على شيوخ بلده، ولكن اليتم والفقر حالا دون تفرغه

لطلب العلم، فصار يبيع السمك والخبز في النهار.

عرف عن الجاحظ حبه الشديد للقراءة والكُتب، فهذا ياقوت الحموي ينقل قولاً لأبي هفّان، وهو من معاصريّ الجاحظ، يقول فيه عنه: «لم أر قطُّ ولا سمعت من أحبّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنّه لم يقع بيده كتاب قَطُّ إلا استوفى قراءته كائناً ما كان، ولا عَجَبَ إذ ذاك في أن يُفْرِد الصّفحات الطِّوال مرّات عدّة في كتبه، للحديث عن فوائد الكتب وفضائلها ومحاسنها». وذُكر عنه أنه كان يعطي الوراقين مالاً من أجل أن يتركوه في دكاكينهم ليلاً يقرأ الكُتب حتى الصباح. ولقد عاش الأديب الجاحظ على تأليف الكُتب وبيعها بعد نضوجه وبروزه، وشهرته التي بلغت المشرق والمغرب. يقول في هذا الجاحظ: «من لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ألذّ عنده من إنفاق عُشَّاق القِيان، والمُسْتهترين بالبنيان، لم يبلغ في العلم مبلغاً رضيّاً، وليس ينتفع بإنفاقه حتى يُؤْثر اتخاذ الكتب إيثار الأعرابيِّ فرسَه باللبن على عِياله، وحتى يُؤمِّل في العلم ما يؤمِّل الأعرابيُّ في فرسِه». وقال في موضع آخر يوضح فيه كيف كان يكسب المال من وراء مؤلفاته: «أهديت إلى محمد بن عبدالملك كتاب (الحيوان)، فأعطاني خمسة آلاف دينار. وأهديت

كتاب (البيان والتبيين) إلى أحمد بن أبي دؤاد، فأعطاني كذلك، وأهديت كتاب (الزرع والنخل) إلى إبراهيم الصولي، فأعطاني مثلها. فرجعت إلى البصرة، ومعي ضيعة لا تحتاج إلى تحديد، ولا إلى تسميد».

من كلام الجاحظ: «المنفعة توجب المحبة، والمضرّة توجب البغضة، والمضادة عداوة، والأمانة طمأنينة، وخلاف الهوى يوجب الاستثقال، والمتابعة توجب الألفة. العدل يوجب اجتماع القلوب، والجور يوجب الفرقة. حسن الخلق أنس، والانقباض وحشة. التكبر مقت، الجود يوجب الحمد، والبخل يوجب الذم، التواني يوجب الحسرة، والحزم يوجب السرور، والتغرير ندامة، ولكل واحدة من هذه إفراط وتقصير؛ وإنما تصح نتائجها إذا أقيمت حدودها؛ فإن الإفراط في الجود تبذير، والإفراط في التواضع مذلة، والإفراط في الغدر يدعو إلى ألّا تثق بأحد، والإفراط في المؤانسة يجلب خلطاء السوء». ومن كلام الجاحظ في طلبه للعلم وعشقه القراءة: «إني لا أعلم شجرة أطول عمراً، ولا أطيب ثمراً، ولا أقرب مجتنى من الكتاب، العلم الحق لا يؤخذ إلا عن معلم، فقد تتلمذت على أيدي كثير من العلماء، واغتنى فكري من الاتصال بهم في حلقات العلم المسجدية، صحيح أنني لا أتفق مع بعضهم، إلا أنني أقر بفضلهم جميعاً».

وفاة الجاحظ: اشتد المرض بالجاحظ في أواخر أيامه، فأصيب «بالفالج»، وهو نوع من الشلل النصفي، قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد يصف حاله: «دخلت على الجاحظ في آخر أيامه، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج، لو حزّ بالمناشير ما شعر به، ونصفه الآخر منقرس، لو طار الذباب بقربه آلمه، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها». وعلى الرغم من شدة المرض، إلا أن المرض لم يكن هو السبب في وفاته، ولكن كان علمه هو السبب، حيث قضى الجاحظ نحبه في يوم من أيام شهر محرم سنة 255 هجرية، حينما زحف وحيداً إلى مكتبته المكتظة بالكتب المكدسة، فانهالت مجلداتها الضخمة عليه.

مؤلفاته: ترك الجاحظ خلفه كتباً كثيرة من تأليفه، يقال إنها بلغت 370 كتاباً، معظمها مخطوط لم يطبع حتى الآن، ومن أشهر مؤلفاته، رحمه الله: البيان والتبيين في أربعة أجزاء، كتاب الحيوان في ثمانية أجزاء، البخلاء، المحاسن والأضداد، البرصان والعرجان، التاج في أخلاق الملوك، الآمل والمأمول، التبصرة في التجارة، البغال، فضل السودان على البيضان، رسائل الجاحظ.

عبدالحميد يونس

رائد الأدب الشعبي

د. حنان الشرنوبي

تتعدّد الأشكال النثرية التي يتناولها تراثنا الأدبي كتعدد الأزمنة التي يتحرك فيها؛ إذ كانت البداية بالمعجزة الكبرى (القرآن الكريم)، التي تمّ نفي صفة الشعر عن نظمها؛ حتى أتت الكتابة الصوفية، ثم النثر القصصي، ومنها إلى المقامة، فالرسالة والنادرة، ومن ثم الكتب الموسوعية... وعلى الرغم من ذلك كنا نفتقد فناً من أهم الفنون التي تعبّر عن دواخل البسطاء وأفكارهم وحكاياتهم.. والكشف عن سرودهم الموسومة بعد ذلك بـ«الأدب الشعبي».

الحقيقة أن تراثنا كان زاخراً بهذا اللون الأدبي، إلى أن جاء عميد الأدب الشعبي، الدكتور عبدالحميد يونس، متحدياً، رغم إصابته بالعمى؛ فأقبل على العلم بإصرار مُلِحّ، وحصل على درجة الماجستير في موضوعٍ قوبل بالدهشة؛ إذ كان جديداً على الوسط الأكاديمي، معنون بـ«الظاهر بيبرس في القصص الشعبي»، وكانت البداية حينما تحوّلت رسالته إلى كتاب يحمل العنوان نفسه، عام 1959، وقد بدأ كتابه ببحث الدوافع التي جعلت البسطاء ينتخبون شخصية الظاهر بيبرس لنسج هذه السيرة وسردها؛ والفرق بينها وبين السِّير الشعبية الأخرى؛ ليس هذا فحسب، بل تناوَل الحديث راوي هذا القصص الشعبي، الذي احترف رواية (سيرة) الظاهر بيبرس ورفاقه، وأبرزهم (عثمان بن الحلبي)، الذي رافقه مشوار البطولة. وأطلق د .عبدالحميد على هذا التناوُل «فن المحدّث المحترف»، إذ شرح العلاقة بين الراوي ومتلقي هذه السيرة في المقاهي الشعبية التي انتشرت في أحياء القاهرة في ثلاثينيات القرن الماضي.

كذلك رصد في نهاية كتابه حوادث السيرة الشعبية، وكيفية سردها بصورة شائقة.

ولم يكتفِ د. عبدالحميد بهذا المبحث في الماجستير،

ولـم يحـاول تغييـر مسـاره، بـل اسـتأنف طريقه في تيـار الأدب الشـعبي؛ ليسـجل الدكتـوراه في موضوع «الهلاليـة بين التاريخ والأدب الشـعبي»، التي نشـرت في كتاب يحمل الاسـم نفسـه أيضاً، عـام 1986، ولقد أُعيد نشـره ثلاث مـرات، ليكون ضمن سلسـلة مكتبة الدراسـات الشـعبية.. والكتاب كما يتضح مـن العنـوان يتحـدث عـن التاريـخ والهلالية؛ ولهذا تم تقسـيمه إلى قسـمين:

القسم الأول: يبحث فيه عن التسلسـل التاريخـي للنسـب الهلالـي منـذ العصـر الجاهلي حتـى الوصـول إلـى سـلالة (هلال) في العصـر الإسـلامي، وأبرزهم (سـلامة)، المعـروف بـ(أبي زيـد الهلالي).

أمـا القسـم الثانـي: فيلخـص فيـه أحداث السـيرة الهلالية جيـلاً بعد جيل، حتى ينتهـي الحدث بالجيل الثالـث، المعروف باسـم «جيـل الأيتام».

ثـم توالت بعد ذلـك المؤلفـات لتصبح أربعـين مؤلفاً، أهمهـا «معجـم الفولكلور»، الذي يعد موسـوعة أدبية مكوّنـة من سـبعمئة صفحـة، التي ترجمـت لأكثر من لغـة، كما دُرِّسَـت بالقسـم الأدبي في جامعـات عالمية (الأمريكية والهندية والسـويدية)؛ وذلك لأن الموسوعة تجـاوزت المصطلحـات الخاصـة بمجتمعنـا العربي، إلـى المـواد المتنوّعة والمشـهورة في القوميـات المختلفة بالشـعوب الأخرى.

ولعـل مـا أراده الكاتـب هـو أن يجعل القـارئ العربي يهتـم بالفولكلـور الـذي يصدر عن سـلوك الإنسـان؛ أيـاً كان وطنـه، أو بيئتـه الثقافيـة، وتعـد هـذه أول محاولـة للتعريـف بالفولكلـور ومصطلحاته وتطوره، والتمييـز بـين العـادات والتقاليد فيها عنـد مختلـف البلدان.

وأغلـب الظـن أن هـذا الفـن (الفولكلـور) لـم يلـقَ صدى لـدى بعضهـم، أو أنـه لاقى بعـض الهجوم، فـردّ عليهم عبـر أصـول تأسـيس علم الفولكلـور، وناقـش العديـد مـن القضايـا الرئيسـة في التـراث الشـعبي العربـي؛ وأطلق عليـه عنوانـاً اشـتهر بـين الأوسـاط الثقافيـة علـى مـدى عقـود، هو كتـاب «الدفـاع عن الفولكلـور».

ليس هذا فحسب، بل قام بترجمة العديد من الأعمال مـن الإنجليزيـة إلى العربيـة، منها على سـبيل المثال: الأسفار الخمسـة أو «مجموعة حكايات البنجاتنترا»، تأليـف فرانكلـين أدجرتـون. وتم نشـره عـام 1980، عـن الهيئـة المصريـة العامة للكتـاب، وكذلـك قامت بطباعتهـا دولـة الكويت، ضمن سلسـلة دراسـات في التـراث العربـي، وهي عبـارة عن مجموعـة حكايات يقدمهـا حكيـم مـن البراهمـة، بغرض تعليـم أصول تدبيـر المُلـك لثلاثة من الأمـراء، غَلـب عليهم الجهل والتبلّـد؛ وذلك عبر الحكي والسـرد؛ وتتضمن خمس حكايات رئيسـة، هـي: التفريق بين صديقين (الأسـد

والثور)، وكسـب الأصدقاء (الحمامـة والغراب والفأر والسـلحفاة والغـزال)، والحـرب والسـلام (الغربـان والبـوم)، والخسـران (القـرد والتمسـاح)، والعمـل الطائـش (البرهمـي والنمس).

وهـذا العمـل المترجم ليـس بعيداً عن تراثنـا العربي، فهو أيضاً على لسـان الحيوانـات، وكأن صاحبها تأثر بثقافتنـا مـع ابن المقفع صاحـب «كليلة ودمنة».

ومـن فـروع الأدب الشـعبي أيضـاً «الأسـطورة»، التي تعمَّق فيهـا، وربطها بالحكايات الشـعبية، ليجعل منها عِلمـاً أكاديميّـاً يفـرّق فيه بـين الخرافة والأسـطورة، ويبحـث عـن الحكايـات الشـعبية التـي لهـا جـذور أسـطورية اتكأت على العـادات والتقاليـد والطقوس، وأثرها في تشـكيل ذهن البسـطاء من العامة، والتهيئة لمعرفـة الفنون الشـعبية للعناصر الأسـطورية، فسـرد كتابـاً متخصصـاً في ذلـك، وكان «الأسـطورة والفـن الشـعبي»، الصـادر عـن المركـز الثقـافي الجامعـي، إذ وصـل فيـه عناصـر الفـن الشـعبي والأسـطورة بالعناصـر الفولكلوريـة.. ويتنـاول بالشـرح أسـاطير «الشـمس والقمـر والزهـرة»، ونمـاذج متعـددة مـن أسـاطيرنا العربية والمصرية والإفريقية، التي ارتبطت بعالم السـحر، والحيوانات، والطيور. وفي كتابه «خيال الظـل»، الـذي اتكأ فيـه على المسـرح السـاخر الذي سـبقه فيـه محمد بـن دانيـال الموصلـي، أول من قام بتأليـف تمثيليـات خيال الظـل، ومنهـا تمثيلية الأمير وصـال، وتمثيلية عجيب وغريب.. أمـا تمثيليات خيال الظـل المصرية، فقـد اختار المؤلف ثلاثـة نماذج منها، هـي: «لعبـة التمسـاح، حُسـن ظني، حـرب العجم».

وبهـذا أصبـح دكتـور عبدالحميـد يونس، أول أسـتاذ عربـي لـلأدب الشـعبي والفولكلـور؛ إذ قـام بشـرح مفهـوم «الأدب الشـعبي»، والأنـواع التي تنـدرج تحته؛ كالنـوادر والأمثال والأحاجي.. كذلك الفنون الشـعبية التي تتضمن الغناء والموسـيقى والرقص والدراما؛ لذا تم انتخابـه رئيسـاً للمجلـس العربي للأدب الشـعبي. ولاتـزال أبحاثه العلمية تمثل حجر الأسـاس للطلاب والباحثـين في تراثنا العربي، وثقافتنا الشـعبية عامة، وأدبنا الشـعبي خاصة.

«فجر الإسلام»

ومسارات الدرس العقلي والفكري

إيهاب الملاح
كاتب وباحث في التراث – مصر

ونستأنف الحديث عن موسوعة المرحوم أحمد أمين التي كانت اللبنة الأولى في التأريخ العلمي المنضبط (على الأقل في المساحة الوصفية التوثيقية) لتاريخ الإسلام العقلي والفكري، وتراثه الثقافي الزاخر خلال القرون الأربعة الأولى التي ازدهرت فيها حضارة الإسلام، ووصلت لذروة مجدها واتساعها وانتشارها العالمي في القرن الرابع الذي يعرف بالعصر الذهبي للإسلام.

-1-

لهذا المشروع العلمي الثقافي الجبار قصة لها مغزى، تستحق أن تُذكر؛ رواها تفصيلاً الدكتور طه حسين، في تقديمه للجزء الأول «فجر الإسلام». لم يكن أحمد أمين مدرساً بالجامعة المصرية، بل كان قاضياً شرعياً، ودعاه طه حسين بعد أن أدرك مواهبه وواسع ثقافته وعلمه، كي يدرِّس بالجامعة المصرية (التي كانت أهلية، ثم صارت حكومية فيما بعد) عام 1926م.

وفي الجامعة، اتفق أحمد أمين، والدكتور طه حسين، وصديقهما المشترك المؤرخ عبدالحميد العبادي، على وضع وتنفيذ مشروع ثقافي ضخم؛ مشروع علمي ومعرفي طموح، يسعى إلى دراسة الحياة الإسلامية من نواحٍ ثلاث: الناحية العقلية، والناحية الأدبية، والناحية التاريخية في عصور الإسلام المتعاقبة منذ ظهوره؛ حتى وقتهم المعاصر، يختص طه حسين بدرس الحياة الأدبية، ويستقل أحمد أمين بالحياة العقلية والفكرية، ويفرغ عبدالحميد العبادي للحياة التاريخية..

ولكن تشاء الأقدار أن ينجز العلّامة أحمد أمين – وحده – مشروعه كاملاً دون زميليه اللذين

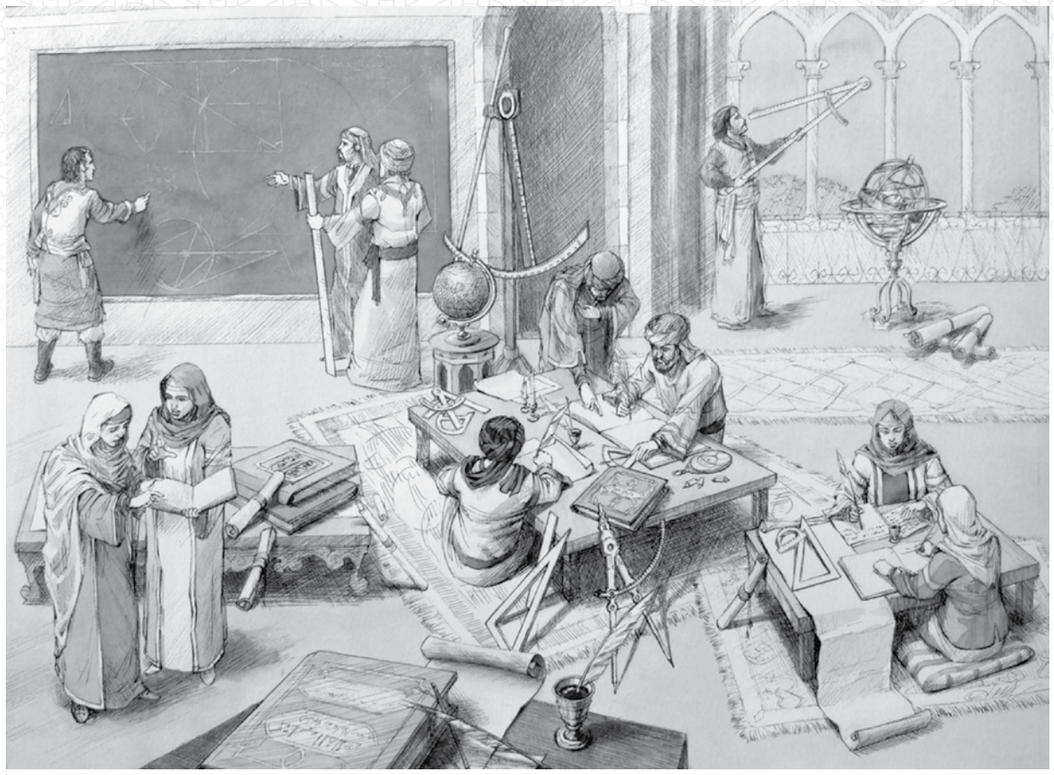

حالت الظروف الخاصة بهما دون الوفاء بما وَعَدا به (وإن كانا قد قدّما جزءاً مما وَعَدا به؛ فأخرج طه حسين مثلاً سلسلة كتبه المشهورة في تاريخ الأدب العربي؛ التي استهلها بكتابه المدوِّي «في الشعر الجاهلي»، الذي صدر في طبعة تالية معدلة بعنوان «الأدب الجاهلي»، ثم في «حديث الأربعاء» (ثلاثة أجزاء)، و«من حديث الشعر والنثر»...إلخ).

وخلال عشرين سنة تقريباً أو يزيد، صدرت السلسلة المعروفة، المكونة من تسعة أجزاء؛ هي: «فجر الإسلام» (جزء واحد)، «ضحى الإسلام» (ثلاثة أجزاء)، «ظهر الإسلام» (أربعة أجزاء)، وأخيراً «يوم الإسلام» (جزء واحد).. وتناول فيها أحمد أمين على الترتيب، بصبر وأناة ودأب منقطع النظير، الحياة الفكرية والدينية والثقافية والعلمية والاجتماعية للمسلمين خلال القرون الخمسة الأولى من الهجرة.

وتجدر الإشارة إلى أن أحمد أمين كان ينوي أن يصل بالسلسلة إلى العصر الحديث، بإصدار (عصر الإسلام)، ثم (الإسلام في عصر النهضة الحديثة)، لكن الأجل لم يمهله لكي يتم ما كان ينويه.. وإن كان صدر له في دائرة قريبة مما كان ينوي إنجازه كتابه المرجعي

المهم «زعماء الإصلاح في العصر الحديث»، الذي عالج فيه سير وأفكار رجالات النهضة وزعماء الفكر، من رفاعة الطهطاوي حتى محمد رشيد رضا.

- 2 -

لماذا حازت هذه السلسلة من الكتب/ العلامات في الثقافة العربية الشهرة الطاغية التي نالتها؟ ولماذا تحتفظ بقيمتها حتى الآن؟ وكيف أتم أحمد أمين إنجازها؟

مثلما كانت كتب طه حسين في تاريخ الأدب العربي أول كتابة معاصرة تعتمد المنهج العلمي والتاريخي في درس ظواهر الأدب العربي؛ وكانت كتابات محمد حسين هيكل في «الإسلاميات» أول محاولة تأريخية منهجية في الثقافة العربية لكتابة سيرة الأماكن المقدسة، والشخصيات التاريخية البارزة، والشخصيات الدينية المقدسة، كانت جهود أحمد أمين أسبق منهما في التأسيس لأول تناول علمي وتأريخي (وصفي) لما يمكن أن نطلق عليه «مسيرة العقل المسلم منذ ظهوره».

وأتصور أن طبيعة المرحوم أحمد أمين الهادئة المثابرة هي التي أتاحت له من الصبر ما أكمل به ما بدأه مع صديقيه؛ طه حسين وعبدالحميد العبادي، من مشروع التأريخ للحضارة العربية

في جوانبها المختلفة، السياسية، والفكرية، والإبداعية.

لم تكن هناك أعمال سابقة في موضوعه باللغة العربية، وكانت كل الكتابات المهمة والمرجعية لمستشرقين أجانب وبلغاتٍ أخرى غير العربية، ولم تكن كل ذخائر التراث العربي المهمة قد ظهرت في صورتها المحققة، كان معظمها مخطوطاً، وبالتالي فقد كان على أحمد أمين أن يتجاوز كل هذه الصعوبات والتحديات، وينجز هدفه الضخم، عبر عمل دؤوب ومتواصل وبإرادة لا تلين؛ فيستعيض عن النقص الفادح في ذلك بنفسه؛ أولاً بإجادته الإنجليزية، ومطالعة أهم المراجع التي كتبت في موضوعه بها، وينقل عنها فيما يكمل بحثه ويغنيه، وثانياً بأن يقوم بعملية مسحٍ واستقصاء واسع لنصوص التراث العربي والإسلامي (مخطوطاً وهو الأكثر، ومطبوعاً وهو الأقل)، يجمع منها مادته، فيما يمكن أن يشكل معالم البحث في هذه الأرض البكر.

وفي رأيي، فقد كانت هذه العملية هي الأصعب؛ لأنه كان لزاماً عليه أن يقرأ كلَّ كتب الأدب والشعر والتراجم والطبقات، والتاريخ الإسلامي العام، وكتب المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة؛ ويخوض غمار البحث في كتب التفسير والحديث واللغة والنحو والفقه وأصوله... إلخ، جهد جبار

إذا أكدنا أن أحمد أمين قد قام بذلك بمفرده، ودونما معاونة ولا مساندة ولا دعم من أي جهة كانت؛ بل بإرادته وعزمه فقط!

أما آخر هذه التحديات فقد كان في السيطرة على هذه المادة الهائلة، وإعادة تنظيمها وتبويبها؛ حتى يستوي له الشكل والإطار والمنهج الذي يريد؛ ويخرج كتابه حسن التبويب والتقسيم؛ أبوابه تفضي إلى فصوله، وفصوله تفضي إلى مباحثه وفقراته... إلخ.

وفي سبيل ذلك، رسم لنفسه خطة واضحة محددة المعالم، وصار على هديها في إنجاز بحثه؛ فحدد أولاً الإطار الزمني والجغرافي لمعالجة بحثه؛ ثم حدد البيئات (الدينية والعرقية والاجتماعية) التي يمكن أن نقول إنها أثرت بدرجة ما في نشوء الأفكار وتطورها منذ ظهور الإسلام، بل قبله بقليل، ثم في العصور الإسلامية المتعاقبة.

- 3 -

وهكذا تبلور الجزء الأول من مشروعه الضخم «فجر الإسلام» الذي عالج فيه المائتي سنة التي سبقت ظهور الإسلام، والبيئات الثقافية المتاخمة للجزيرة العربية مهد الإسلام، والثقافات الدينية التي كانت سابقة على ظهور الإسلام، فتناول الفرس وثقافتهم، واليونان والهند، كما تناول ديانات

النصرانية، واليهودية، والوثنية.. كل ذلك فيما يتماس أو يتقاطع أو يتوازى مع الإسلام وظهوره، ومع ما أحدثه من ثورة كبرى على كل المستويات.

ثم يعالج نشأة المذاهب والفرق في الإسلام في القرن الأول الهجري، فيتحدث عن نشأة الخوارج، ثم الشيعة ثم المعتزلة. حيث لم تكن الأمة العربية إبان القرن الأول للهجرة «تحيا حياة عقلية يسيرة سهلة كما يظن الناس، وإنما كانت حياتها العقلية خلاصة معقدة لطائفة كثيرة من العناصر، اشتبكت وتداخل بعضها في بعض، حتى نشأ عنها هذا المزاج الذي ساد في بني أمية».

فهو؛ أي هذا المزاج العقلي، «مزيج من أثر الحياة الجاهلية، وأثر للإسلام وللمسيحية التي فيها السامي واليوناني، وأثر للمجوسية الفارسية، كما يمكن أيضاً أثر الديانات الهندية على اختلافها، وللحضارات المختلفة لكل هذه الأمم التي ذكرت أسماءها».

وعلى هذا صار «فجر الإسلام» مدخلاً تأسيسياً وضرورياً ولازماً لدراسة ما سيلي من قرون؛ إنه التمهيد الذي يرسم الخريطة العامة لمسارات ظهور حضارة الإسلام جغرافياً وتاريخياً، والبيئات الدينية والعرقية والثقافية التي نشأ في قلبها وأثر فيها، وتأثر نتاجه بها دون شك أيضاً...

(وللحديث بقية)

الأغنية في الموروث الشعبي
مصدر وحي ومنبع إلهام

«الجزء الثاني»

تعـدّ الأغنيـة فـي الثقافـة الشـعبية رافـداً أساسـياً مـن روافـد الشـخصية الوطنيـة، وعنصـراً جامعـاً لأبنـاء الوطـن حـول الأصالـة وعامـل تحفيـز دائـم لمشـاعر الانتمـاء، وهـي بذلـك تشـكل أحـد الانشـغالات الكبـرى علـى مسـتوى الخطـاب الرسـمي والوطنـي، الباحـث عـن تعزيـز دعائـم الوحـدة الوطنيـة.

صبحة بغورة
باحثة – الجزائر

مدينـة الجزائـر العاصمـة، وتدعى قديمـاً «إكوزيوم» في عهـد الفينيقيين، ومن مسـمياتها الحالية البهجة، المحروسـة، الجزائر البيضاء، ومزغنـة، وذلك لبياض أبنيتهـا وعماراتها ولمعانها، ويخيـل للناظر أنها ترتفع عن سـطح البحر، والجزائر اسـم أطلقه بولوغين ابن زيـري، مؤسـس الدولة الزيريـة على أنقـاض المدينة الفينيقيـة القديمـة، وتلفظ باللهجة المحليـة «دزاير»، ويقال إنها مشـتقة مـن دزيري، ومن الكلمـة البربرية تيزيـري التي تعني «ضـوء القمر»، ويعـرف جزء منها بحي القصبة.

ويمتـد علـى تلة شـديدة الانحـدار على ارتفـاع 122 متراً فوق سـطح البحـر، وتعد القصبة تراثـاً معمارياً تاريخيـاً مهمـاً، سـجلته منظمـة اليونسـكو كتـراث عالمـي يحتضـن الكثير من المسـاجد والقصـور، مثل قصـر مصطفى باشـا، وقصر الـداي وقصر الرايس، والمنازل الفاخرة ذات الطراز العربي الإسـلامي، التي تتوسـطها نافـورة الماء والبئـر، ومن أبرز مسـاجدها المسـجد الكبيـر، ومسـجد كيتشـاوة، وتعنـي كلمـة القصبة في لهجة سـكان العاصمـة الجزائرية «زنقة»، أو حـارة ضيقـة، وهـي تقـع وسـط مدينـة محصنة

ومحاطـة بالأسـوار، تغلـق أبوابهـا عنـد الغـروب، وتفتـح عنـد الشـروق، وطـراز بنائهـا يشـبه المتاهة التـي يصعب علـى أي زائر الخروج منها، ومن أشـهر حواريهـا «زنيقـة العرائـس» وزنيقة مراد نـزيم باك، ولاتـزال دكاكينهـا تحتفـظ بالصناعـات التقليديـة، كصناعـة السـروج، والمشـغولات النحاسـية، والحلي الفضيـة، والخياطة والطرز علـى الحرير، ومن تقاليد العاصمـة العريقـة لبـاس «الحايـك» العاصمي، وهو غطـاء أبيـض عرفتـه النسـوة منذ أمـد بعيـد، ويعدّ جـزءاً من تراثها وثقافتها، ويرمز للأنوثة والاحتشـام، وهو يشـد جسـدها، ويغطي قوامها وتلبسـه النسـاء مـع «العجـار»؛ أي البرقـع، وهـو يسـجل حضوره في حفـلات زفـاف المـرأة إلـى جانـب لبـاس «الكاراكو» و«محرمـة لفتـول»، و«خيـط الـروح » التـي تحلو مع الأغانـي العاصمية مـن طابع «الشـعبي» يؤديها جوق موسـيقي عصـري محـدود العـدد، يعزفـون علـى

الماندولـين والكمنجـة، يتقدمهـم المطـرب عازفاً على العود جلوسـاً، ويعدّ هذا الطابع لسـان حال الشـعب، تحكـي كلماتـه يومياتـه وهمومـه وأفراحـه، يصـف الواقـع المعيشـي، ويتغنـى بقضايـا الطبقـة الكادحة، ولاتـزال هـذه الأغانـي أداة للتخفيـف عـن الكـرب، سـواء بسـرد المآسـي والمعانـاة، أو لإشـاعة البهجـة والفرح في المناسـبات والأفراح، وفي المواسـم الزراعية ابتهاجـاً بالمحاصيـل. ولعـل من أشـهر ما شـاع منها مؤخـراً أغنيـة «يـا الرايـح» التـي تخاطـب الشـباب المهاجـر والمغتربـين وتقـول في مطلعها:

يالرايح وين مسافر تروح تعيا وتولي

شحال ندمو العباد الغافلين قبلك وقبلي

شحال شفت البلدان العامرين والبر الخالي

وشحال ضيعت أوقات وشحال تزيد ما زال تخلي

يا الغايب في بلاد الناس شحال تعيا ما تجري

بك وعد القدرة ولي الزمان وأنت ما تدري

وبالانتقـال مـن شـمال البـلاد مسـافة 1970 كلـم إلـى أقصـى الجنـوب الصحـراوي، نحـل بعاصمـة منطقـة الهقـار مدينـة تمنراسـت، موطـن أسـطورة التـوارق، والملكـة تينهنان، حيـث تأخذنـا الطبيعة في سـفر إلى العصـور القديمـة، وصور الرجـال الزرق. تتمتـع مدينـة تمنراسـت بطابع سـياحي فريد، حيث تتصـب جبال الهقار والطاسـيلي، وهما أكبر متاحف الطبيعـة المحميـة، وجبال «إسـكريم» مقصد السـياح لمشـاهدة جمال الشـروق والغروب علـى ارتفاع 2780 متـراً عن سـطح البحر، ويتميـز أهلها بالهـدوء وقلة الـكلام، وتعنـي إسـكريم «القمـة البـاردة»، حيـث تختـرق مياههـا العذبة الصخور، وتتدفق إلى سـفحه مكونـة بركة صغيـرة، تقصدها قطعـان الغزلان، وقد صنفتهـا منظمـة اليونسـكو تراثـاً عالميـاً؛ لاحتوائها علـى رسـومات ونقوش تـروي حكاية الرجـل الترقي الـذي عـاش بالمنطقة قبـل قرون. ظهـرت عند قبائل أمازيـغ الصحـراء أغاني الرحابـة «أرداس» و«الزرنة» و«التنـدي» و«الإمـزاد» و«التسـوان»، وعـرف التوارق الآلات الموسـيقية المختلفة، وصنفت منظمة اليونسكو بعضهـا كجزء من التراث الإنسـاني العالمي، مثل آلتي

الإمـزاد والقمبري، والمنطقة غنيـة بطبوع عدة، يجمع أهل الفـن على وصفهـا بـ«الطريق إلـى الدوح».

ولأن المـرأة هـي ركيـزة المجتمـع الترقـي، فـإن اسـتعمال الآلات الموسـيقية مثل الإمـزاد والتيندي المصنوعـة مـن الأوانـي المنزلية، مخصص للنسـاء فقـط، للعـزف عليهـا للرجـل، ولا يمكـن للرجـال اسـتعمالها، وغالبـاً مـا تعـزف الموسـيقى مع وقت الغـروب، وتروي الأسـاطير أن أي رجل ترقي يعزف الإمـزاد مثـلاً سـتحل عليـه اللعنة، وهي آلة تشـبه الربابـة كثيراً، لها وتر واحـد من ذيل الخيل، وقوس خشـبي وتـره من شـعر الخيـل، وتصدر موسـيقى حزينـة ورقيقة وهادئـة هدوء طبع أهـل الصحراء، ويعتمـد الغنـاء الترقـي كثيراً على العـزف أكثر من الـكلام، وتتحلـق النسـوة المشـاركات في أوركسـترا العازفـات بتصفيقـات إيقاعية ذات فلسـفة روحية، لهـا علاقـة بالمطـر والخصوبـة والتفـاؤل، ويتغنى التـوارق للتعبير عن أنفسـهم بلهجة أمازيغية خاصة تدعـي التيفينـاغ «نحـن حبـة رمل في وجـه الزمان ..»، ويعـرف الترقـي بالقميـص الأزرق الطويـل والفضفـاض، وباللثـام الـذي يبلـغ طوله بـين أربع

وخمـس أمتـار، وهو مـن القماش الأسـود، يلازمه في كل حـال وترحـال، ويلفـه بإحـكام علـى جميـع وجهـه، حتـى لا يظهر منـه سـوى العينـين، ولا يرفعـه حتـى أثنـاء تنـاول الطعـام، كمـا يغطون رؤوسـهم بعمامة كبيـرة ذات اللثـام الضيـق، لذلـك سـمّاهم العـرب «الملثمـون».

مدينة بسكرة، عاصمة الزيبان، تأسسـت في القـرن الرابـع الهجـري، فيهـا ضريـح ومسـجد خالـد بن سـينان الـذي سـميت المدينة باسـمه، ومسـجد الفـاتح الكبيـر عقبـة بـن نافع، ومسـجد موسـى بـن نصير، تقطنهـا أغلبية من السـكان الأوائـل «الخوالد»، وترجع أصولهـم إلى بني هلال وبني سليم والأشـراف، تتميز المنطقة ببساتينها الغنـاء، ونخيلها وتمورها الفريدة من نوعها «دقلة نور»، وواحتهـا المثمرة، وسـلالات الأغنام التـي تمتاز بجودة لحومهـا وغزارة صوفها، تعرف المنطقـة بفنها البدوي الـذي اقترن بظهـور الأزجال والموشـحات، بعد زحف الهلاليـين على المغـرب العربـي، ويجـدر التفريق بين الشـعر البدوي والشـعر الحضري، والشعر هو العمود الفقـري للأغنيـة البدويـة، ويسـمى «اللغـا العروبي» وهـو لفـظ بالعاميـة الجزائريـة يقصـد به النـداء أو المنـاداة، وتعتمد الموسـيقى البدوية في منطقة سـيدي خالـد ببسـكرة علـى «الغايطـة»، وهـي آلـة نفخيـة، والمزمـار والبندير؛ أي الـدف الـذي ترافـق إيقاعاته رقصـة «النايليـة» المعروفـة بالمنطقة التي تشـتهر أيضـاً بالقشـابية، رداء متين وخفيـف وفعال في الحفـاظ على الحـرارة في فصل الشـتاء، وهو يرمـز إلـى النخـوة والرجولة، منسـوج مـن وبـر الجمـال، بينمـا تمثـل الملحفـة رداء النساء الأشـهر على الإطلاق، وترافقـه الحلـي الفضية، ومن أشـهر مـا تكتنـزه المنطقـة في موروثهـا الشـعبي قصـة الفتـاة الهلاليـة حيزية بنت أحمـد بنت الباي، التـي خلدها أحد شـعراء المنطقـة محمد بن قيطـون البوزيـدي، بقصيـدة وشـعر ملحـون يحاكي القصـة الحقيقيـة.

جاء فيها:

عزوني يا ملاح في رايس البنات

سكنت تحت اللحود ناري مقديا

يا خي أنا ضرير بيا ما بيا

قلبي سافر مع الضامر حيزيا

خدك ورد الصباح وقرنفل وضاح

الدم عليك ساح وقت الصحويا

وقـد أعاد كتابتها الشـاعر عـز الدين المناصـرة بلغة عربيـة، أوضـح لتقريبها أكثـر للقارئ باسـم «حيزية عاشـقة مـن رذاذ الواحات»، وتقـول كلماتها:

أحسد النجم حين غفا هائماً

فوق معصمها ثم نام

أحسد الليل فوق زنود الرخام

أحسد الزنيق الوثني وسرب القطا

ثم سرب العصافير، جيش اليمام

وتعـدّ الأغنيـة «القبائلية» نسـبة إلى منطقـة القبائل الجبليـة في شـمال البـلاد، هـي الوجـه الحقيقـي لأصالـة الجزائـر وتاريخهـا، تتضمن كلماتهـا الكثير مـن الـدروس والمعاني والمواعـظ والعبـر، وتتخذ من الطبيعـة منبعاً ومنطلقـاً للوصول إلى هدف مرسـوم مسـبقاً، وهي زاخرة بالرموز ذات الـدلالات العميقة، وهـي كذلـك أداة التعبيـر عـن الأفـراح والمسـرات، وتتميـز بالطابـع المرح الراقـص الذي يتمتـع به المرء في المناسـبات السـعيدة، كما يتمتع به وبالقدر نفسـه في قمـم الجبـال وعند سـفوحها، ووسـط البسـاتين وحقـول الزيتـون بمنطقـة قبائـل الأمازيـغ، حيث تتحلـق النسـوة بلباسـهن التقليـدي المميـز بالألـوان الحـارة الصفـراء والحمـراء والبرتقاليـة والبيضـاء، في مجموعـات للرقـص من دون أحذيـة، على الإيقاع السـريع الـذي تنفرد بـه الأغنيـة القبائلية.

ويطلـق السـكان علـى المنطقـة اسـم «ثمـورث إذورار»، بمعنـى أرض الجبـال أو ثمـورث لقبايـل؛ أي بـلاد القبائل الذيـن يتكلمون ويتواصلـون باللغة

الأمازيغيـة بلهجتهـا القبائليـة، ولهـم تقويمهـم الخـاص بالسـنة الأمازيغيـة التي تبـدأ في 12 يناير ميـلادي، وهو مرتبط بالمرأة التي كسـرت أسـطورة الإلـه «يناير». وتحتفـظ المنطقة بعاداتهـا في صنع الزرابـي والسـجاجيد التـي تتخـذ شـكل رسـوم هندسـية وحروف أبجديـة التيفينـاغ، والأمازيغ هم السـكان الأصليون للبلاد ولدول شـمال إفريقيا قبل الفتـح الإسـلامي، أقبلوا على الإسـلام، واسـتقبلوا الفاتحـين، وسـاعدوهم علـى مواصلة فتـح مناطق أخـرى كالأندلـس، ويتغنـى الأمازيـغ في الجزائـر بمـاض عتيـد يقـدس الحريـة، ولعبـت الأغنيـة القبائليـة دوراً مهمـاً في تقويـة الوعـي ومشـاعر الانتمـاء، وتعدّ الثقافة الأمازيغيـة قائمة بحد ذاتها، أبـدع الفنانـون القبائليـون في وضع ألحـان ونغمات موسـيقية لا تشـبه غيرها، تروي قصـص كفاحهم، وتمجـد تاريخهـم، تميـل الأغانـي القبائليـة إلـى طابـع «أشـويق» بمعنـى مدائـح، وتعتمـد على آلات موسـيقية خاصة، مثـل الفلوت والقيثـارة والبندير، وتشـتهر نسـاؤهن بأداء الرقصات الجميلة بأزيائهن التقليديـة الملونـة، علـى إيقـاع هـذه الألحان.

كمـا أبـدع القبائليون في اختلاق الأسـاطير، وإخراج حكايـات الجـدات والتـراث مـن الجبـال إلـى أهـم مسـارح العالم، وأشهرها أسـطورة «إينوفا والوحش»؛ أي غريبـة والوحـش التـي تحولـت إلـى أغنية جرت

ترجمتهـا إلـى كثير من اللغـات، ومنها اللغـة العربية، وتقـول كلمـات أغنية «بابـا إينوفا»:

أرجوك يا أبي إينوفا افتح لي الباب
آه يا بنتي «غريبة» دعي أساورك ترج
أخشى من وحش الغابة يا أبي إينوفا
آه يا بنتي غريبة وأنا أيضاً أخشاه
الشيخ متلفع في برنوسه منعزلاً يتدفأ
وابنه المهموم بلقمة العيش
يعيد في ذاكرته صباحات الأمس
والكنة ناسجة خلف مندالها
دون توقف تحيك الخيطان
والأطفال حول الجدة
يتلقون ذكريات أيام زمان
الثلج رابض خلف الأبواب
والإيحلولين يسخن في القدر
والأعيان تحلم منذ الآن بالربيع المقبل
القمر والنجوم ما زالوا مختفين
وخشب البلوط يحل محل حصيرة الصفصاف
العائلة مجتمعة
تستمع بشغف لحكايا زمان.

تـروي باختصـار هـذه الأغنيـة التـي يبلـغ عمرهـا قرونـاً عدة، قصة فتاة اسـمها غريبـة تعمل في حقول الزيتـون، وتحـرث الأرض، وتعلف المواشـي، ولا تعود إلـى البيـت إلا وقـت الغروب، ثـم لا يفتـح أبوها باب الكـوخ إلا إذا اطمـأن بعد سـماعه رنين أسـاورها.

الثقافة والفنون تحمي نفوسنا من التلوث

الأغنيـة في حيـاة الأمم جزء من تراثها السـمعي، ذلك عندمـا استسـلمت فيـه شـعوبها لصـدق مـا أوحت به خصوصيـة بيئتهـم، ومظاهـر الطبيعة حولهـم، وآمنوا بما اسـتلهمته روحهم من بديع مناظرها أسـمى المعاني، ويعـد إحياء هـذا التراث عمومـاً اسـتحضاراً للماضي بالصـوت والصـورة، كمـا تعـدّ مناسـبة اليـوم العالمـي للتراث السـمعي البصري، الـذي يصادف 27 أكتوبر من كل عـام، فرصـة ثمينة لاسـتحضار المراحـل التي مرت على تشـكيل القيم الإنسـانية عبر مختلـف الحضارات القديمـة، ولنفض الغبار عن الحقائـق التاريخية، ولرفع مسـتوى الوعـي العام بضـرورة الإقرار بأهميـة الوثائق السـمعية البصريـة، وتأكيـد أهميـة اتخـاذ الإجراءات العاجلـة للمحافظـة عليهـا وصيانتهـا باسـتمرار، ذلك لأن محفوظـات التـراث السـمعي البصـري تحمـل في طياتهـا حكايـات عن ملامح أشـكال حياة الأشـخاص، وتطـور ثقافاتهـم في جميـع أنحـاء العالـم؛ لـذا فهـي تمثـل ذاكرتنـا الجماعية، وهـي مصدر قيـم للمعارف؛ لأنها تجسـد التنوع الثقافي والاجتماعـي واللغوي، وهي تسـاعد علـى نضـوج الفكـر الإنسـاني، وفهـم الوجود وأسـرار الكائنـات، وهنـا يتجلـى دور التـراث في بنـاء حصون السـلام في عقول البشـر ضد مؤامـرات إدخال البلاد في الاسـتعصاء السياسـي، عندما تحتمي الذاكرة المجروحـة بأهـداب تراثها الأصيـل، فتتحـول إلى فكر سياسـي ناضـج، ووعـي اجتماعـي منيـر، تتولـد معـه الجـرأة الكافيـة لرفـع النقـاب عـن جوهـر الأحداث؛ لاكتشـاف الوجه الخفـي لحقيقـة التاريخ.

الحكاية في الموروث الشعبي الموريتاني

محمد محمود سيدي محمد
كاتب وباحث – موريتانيا

الحكاية في اللغة هي ما يُحكى، وقع أو تخيّل، وهي: ما يُقصّ من حادثة حقيقية أو خيالية، كتابة أو شفاهاً، وهي مصدر مشتق من الفعل حكى يحكي حكاية؛ أي قصّ وروى، والحكي هو الكلام، والحكاية هي القصة المروية التي يتناقلها عامة الناس، فيحكيها الكبير للصغير، وتتناقلها الأجيال حتى تصبح موروثاً شعبياً متعارفاً عليه.

والحكاية نتاج فكري جميل، أنتجته الشعوب عبر تاريخها الطويل، وأودعت به أروع قصصها، وأجمل ما مرّ بها من أحداث وحكايات، فجاءت لتعكس خلاصة تجاربها، وتعطي صورة نابضة حيّة عن واقع الأمة عبر مراحل تاريخها الطويل، تتجلى فيها حكمة الشعب، وعصارة تجاربه، وتفاعله في المراحل التاريخية التي عاشها، وتعطي وصفاً لبعض الجوانب من الحياة الإنسانية، والأحداث التاريخية المختلفة، وإظهار النواحي الفكرية والعقلية التي شهدتها المنطقة في فترة من الفترات، فتعيد لذاكرة الأبناء صورة تاريخهم المجيد، وتراثهم العريق، بما عرفه من نبل وأصالة، وتعيد إلى أذهانهم صورة آبائهم

وأجدادهم، ومواقفهم الحميدة، وأعمالهم الخالدة، التي يعتزّ بها كل محبّ لأرضه وأهله وتاريخه.

ولو لم تكن تلك الحكايات تحتوي على مقومات البقاء، لما استطاعت الصمود أمام تحديات العصور، ووقفت بكل شموخ لتؤدي دورها الاجتماعي والفكري الذي من أجله أنشئت.

تعرف الحكاية الشعبيّة بأنها عمل أدبي يتم نقله من جيل إلى جيل شفهياً، وبذلك فإنّه يتغير نتيجة هذا التناقل، وهذا سبب تغير الحكاية من جيل إلى آخر، كنتيجة طبيعية لهذا التناقل الشفوي الدائم.

كما توصف الحكاية الشعبيّة بأنها إلقاء أحداث قد تكون واقعية أو خيالية، وتكون نثراً أو شعراً، يراعى فيها جذب اهتمام المستمعين والقارئين.

كما تتميز بأنها نصّ لا نعرف مؤلفه، ويتم إيصاله شفوياً، كما تستند إلى وقائع حدثت بالفعل، واكتسبت نوعاً من البطولة، أو تكون خيالية.

وتعدّ الحكاية الشعبية الموريتانية خزاناً للعادات والتقاليد والقيم، وهي عبارة عن أرشيف يتضمن طرق عيش الأسلاف، والتفاعل مع المحيط الطبيعي، كالحيوانات والأشجار والماء، ومع الظواهر الكونية، كما تخبر عن نوعية العلاقات بين الأشخاص (الذكور والإناث، والكبار والصغار، وبين الفئات الاجتماعية)، وعن أنواع المأكولات والألبسة والأثاث، ومساكن مختلف الفئات الاجتماعية، بالإضافة إلى أنها تهذب الصغار، وتجيب عن تساؤلاتهم الوجودية.

ويتنوع المتن الحكائي الموريتاني، من حيث الموضوعات والأهداف والمتلقون، حيث تتجاور الحكايات العجائبية والحيوانية والدينية، وهو متنوّع من حيث اللغة المستعملة، فبالإضافة إلى اللهجة الحسانية، نجد البولارية والسونكية والولفية، وكلها تزخر بتنويعات تبرز الخصوصيات الجهوية والمحلية، ومن ثم فإن الحكاية تتيح الاختلاف والتنوّع، وتحفظ الذاكرات المحلية التي يشكل مجموعها الذاكرة الوطنية.

ويعد الليل وقتاً مناسباً لسرد الحكاية، إما لتسلية الأطفال حتى يناموا، أو للتسامر بين الكبار، بما تتطلبه الحكاية الحسانية من مهارة السرد والتمثل والتشخيص الصوتي، والدقة في توصيل المغزى.. ونجد الراوي إما شيخاً (شيباني)، أو عجوزاً (كهلة)؛ لقدرتهما على السرد، وحفظ متون الروايات، معتمدين في ذلك على اللهجة.

ويتجسّد حضور بطل الرواية في الخيمة، في حيوانات لا تنفصل عن بيئة الصحراء (غزلان، أفاع، ضباع، ذئاب)، كما قد يكون حيوانات خيالية، أوحت بها بيئة الصحراء (نيروبوكرة، شرتات).

ومن أكثر الحيوانات حضوراً في الحكاية الشعبية (شرتات)، إذ تذهب أغلب الروايات الشفوية إلى أنه كان بشراً يعيش في الصحراء، متنقلاً بين أطرافها، كما يتخذه بعضهم كناية عن بعض الحيوانات؛ كالذئب في خداعه، والأسد في تجبره، فيما تشير روايات أخرى إلى أنه مسخ بين الإنسان والحيوان، يصيب من يراه بالذهول.

نماذج من الحكايات

ولأخذ صورة عن الحكايات الشعبية الموريتانية، نستعرض النماذج الآتية: «قصة صحبة الكلب مع الإنسان»، «البنت والأسد»، «مناظرة»، «مثل شعبي».

صحبة الكلب مع الإنسان:

كان الكلب يبحث عن صديق، فوجد الضبع، واستقرّ معه، فلما جاء الليل، ونبح الكلب، نهره الضبع قائلاً له اسكت، قال ممَّ تخاف؟ قال أخاف النمر، فذهب إلى النمر، واتفقا على الصحبة، فلما جاء الليل، ونبح الكلب، نهره النمر، وطلب منه أن يسكت، قال له الكلب ممَّ تخشى؟ قال أخشى الأسد، فذهب الكلب أيضاً إلى الأسد، واتفق معه على الصحبة، فلما جاء الظلام، نبح الكلب، فنهره الأسد، وقال له اسكت، قال ممّ تخاف؟ قال أخاف الإنسان. فغادر الكلب متجهاً إلى الإنسان، واتفق معه على صحبته، وبقي حتى إذا جاء الليل، نبح الكلب، فلما نبح قال له الإنسان: (وش له)؛ (أي حثه على الزيادة في الإقدام)، وحينئذ قال الكلب: أنت صاحبي، ولن أفترق عنك.

البنت والأسد:

يحكى أن حيّاً سكن قرب عرين أسد، وذهبت مجموعة من فتيات الحي يحتطبن، فمررن قرب العرين، وتقفى الأسد أثرهنّ، وإذا بإحداهنّ في غاية الجمال والملاحة، فعدا عليها، وأخذها معه، وأسكنها في عرينه، ولما يئس منها أهلها، ولم يعودوا يسألون عنها، صار الأسد يتركها حتى تنام، ويذهب للصيد، واعتاد هذا حتى أنسته الفتاة، وحلّ زمن صوحت فيه الأزمنة، ورحلت الأحياء، ولم يعد الأسد قادراً على الرجوع من صيده إلا بعد ليلة ونهار. وبينما الفتاة الجميلة تتلهى قرب العرين، إذ رأت غنماً ترعى حولها، فعرفت راعيها، وذهبت معه إلى أهلها.

عاد الأسد فإذا الفتاة قد هربت، فاشتم أثرها، وتبعه إلى خيمة أهلها، وأراد أن يستعيدها، فإذا هم يحيطون بها، وهي تحدثهم بأن الأسد وحش كبير متين، قبيح المنظر، فخاطبها قائلاً:

يا بغيتي ومرامي
لا تفحشي في الملام
فالجرح يشفى ويبقى
نزيف جرح الكلام

وأخذها الناس مثلاً، ولم يزل الأسد يراقب الفتاة عن بُعد، ويتحيّن الفرص، حتى انتهز يوم رحيل أهلها، فاختطفها على حين غفلة منهم، وأعادها إلى مغارته.

مناظرة:

تناظر الماء واللبن والنار والعافية (السلام) يوماً، فقال اللبن أنا أفضلكم! من شربني فلا حاجة له لا بالماء ولا بالنار، قال الماء أنا أفضلكم، فلو لم أكن فلن يوجد الحيوان الذي يمنح اللبن، ولن توجد النار، قالت النار أنا الأفضل؛ لأنه يطبخ علي، وبي يستنار، ولولاي لم يأكل الناس، ولتاهوا في الصحراء. وحينئذ تكلمت العافية، قالت أنا أفضل من الجميع، فمن دوني لا طعم للماء، ولا للبن، ولا فائدة للنار.

كما تأتي الحكاية الشعبية أحياناً في صيغة مثل شعبي، من قبيل:

- أُوداعتْ الرّيّ للْمِشْ: يضرب للخيانة المزمنة وللشخص لا يؤتمن عليه.
- أرْزَحْ منْ ثور ينسلَخْ: يضرب للكسل.
- أَرَوّغْ امنْ اَوَيتالْ: أي ثور اجبيدْ، وهو قريب من الأول.
- أَرْبَ منْ حَلْمَه: يضرب لشدة البطء في السير.
- أرْبَطْ منْ تاسِلْغَه: التاسلغه هي الربطة من حديد للإناء.
- أَراكنْ النّيرَبْ: أراكنْ: الهودج، وهو جسم هشّ لا ساق له ولا ورق، ينبت في فصل الخريف، وهو غاية في الضعف.

تجليات الإبداع في التجارب الشعرية ومدارسها

قراءة في الشعر النبطي الإماراتي: لمحمد عبدالله نورالدين

عزيز العرباوي
كاتب وباحث ـ المغرب

إن الدافع الذي جعل الباحث والناقد محمد عبدالله نورالدين يقارب نقدياً الشعر النبطي في الإمارات، هو اقتناعه بأهمية هذا النوع من الشعر في البلد، وفي المجتمع الإماراتي، نظراً لكونه شعراً يهتم بالتغيرات والتطورات الاجتماعية، ويعالج قضايا المجتمع وأفراده، ويعبّر عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه الذات والمجتمع معاً، فالكتاب الصادر مؤخراً عن معهد الشارقة للتراث، يحاول التطرق إلى موضوع مهم، تسهيلاً على الباحثين الذين يرغبون في قراءة الشعر النبطي الإماراتي، وتحليل خطابه المتعدد والمتنوّع، والزاخر بالفكرة والقضية والموضوع.

يعتقد المؤلف في مقدمة الكتاب أن عمله هذا هو عمل بسيط بالنسبة إلى إعادة التأكد من مخرجات المرحلة الأولى، وذلك من خلال الرجوع إلى مراجعة قصائد كثيرة أخرى، والتأكد من خلوّها أو من احتوائها على نسبة معينة من موضوع البحث أو الظاهرة التي يود التأكيد عليها، ففي المرحلة التقليدية مثلاً، وجد أن السائد فيها هو المنطق العقلي، بينما وجد في المرحلة الرومانسية أو الشعورية المنطق الشعوري. ولقد اعتمد في عمله الكبير هذا، أولاً، على استخراج ملاحظاته من القصائد التي يعدّها «أشبه بالظواهر البارزة التي تشمل عدداً كبيراً من القصائد في فترة زمنية واحدة، ومن عدد كبير من الشعراء، وفي المرحلة الثانية من العمل يتم التحقق من هذه الظاهرة، وذلك من خلال اختيار عينة عشوائية، تضم أكثر من مائة قصيدة؛ للتأكد من ارتفاع نسبة الاحتواء، وأكثر من مائة قصيدة أخرى؛ للتأكد من تدني نسبة الخلو، والنسبة المطلوبة تقاس

حسب نوع الظاهرة، ومدى تكرارها عادة في القصائد، وإن كان الاستقراء التام للقصائد يعطي أجود النتائج، لكن هذه الآلية وضعت استثماراً للوقت أولاً، ولعدم إمكان حصر القصائد ثانياً؛ لذا فإن هذه الآلية تعد مقبولة جداً، ويعتمد عليها بشكل كبير، كون مجمل ما وصل إلينا من القصائد يعد ناقصاً، لاحتمال ضياع الموروث الشعبي بفعل السنين»[1].

هنا تكمن أهمية هذه الدراسة؛ لأنها أولاً قد قدمت تجارب العديد من الشعراء الإماراتيين إلى القارئ المحلي والعربي، وتمكنت من أن تنقذ العديد من القصائد من الضياع في المستقبل، كما ضاع غيرها من قبل. فالتراث الشفهي يجب أن يدوَّن حتى لا يموت في الأذهان والعقول، والكتاب خير وسيلة لحفظه وإبقائه عبر العقود والقرون. وتُعَدُّ هذه الدراسة النقدية والبحثية، التي استطاع فيها المؤلف أن يقدم لنا وجبة دسمة من الشعر النبطي الإماراتي الجيد والمثير للقارئ العربي عامة، دراسة تطور من أدوات الشعر لدى شعراء الإمارات، وتختصر الطريق على الباحثين المهتمين بهذا التراث الثقافي والأدبي، من خلال لفت انتباههم إلى تعدّد الأفكار والقضايا التي يعالجها الشعراء، وكذلك البحث عن منطلقاتهم ومواقفهم وأدواتهم الشعرية المستخدمة، والتي يحاولون جاهدين (الشعراء) أن يبدعوا فيها، ويجددوا من خلالها في قصائدهم.

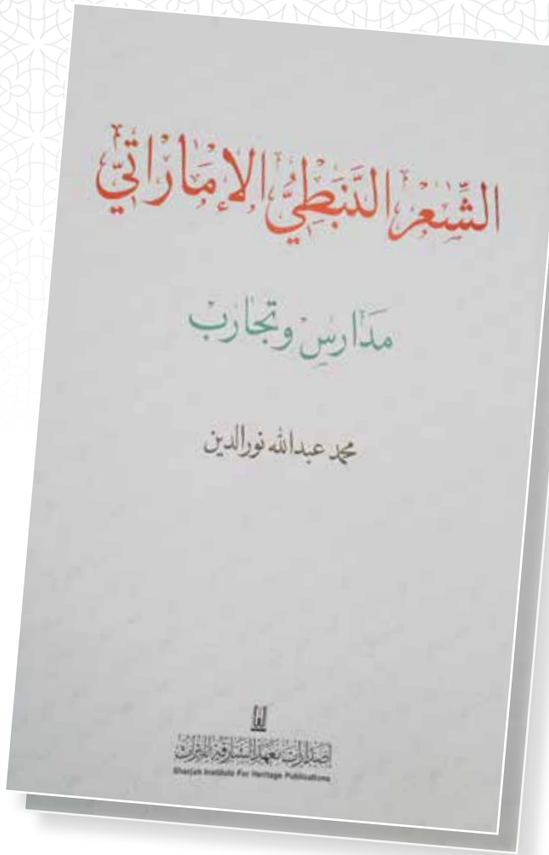

المدرسة التقليدية في الشعر النبطي

يرى المؤلف أن المدرسة التقليدية هي المدرسة الأدبية الأولى والأساسية التي يشكل الشاعر من خلالها رابطاً قوياً مع القارئ، وهذا ما يدفع الشاعر بالدرجة الأولى إلى إرضاء الجمهور، أكثر من إرضاء ذاته، أو إبداع نص فني وجمالي. فالقصيدة التقليدية تهتم بذائقة القارئ، ولا تبرز فلسفة الشاعر في القصيدة، بقدر ما تدفعه إلى تقمص دور الشخصية المقبولة في المجتمع، من

خلال تطرقه إلى موضوعات القيم والأخلاق والعادات والتقاليد، والدعوة إلى الحفاظ عليها، وكأننا به مصلح اجتماعي أو رجل تربية وتعليم، لا شاعر ولا أديب.

في القصيدة التقليدية يبدأ الشاعر فيها «بمقدمة أو حوار مع المتلقين قبل البدء بها، ويريد أن يفصل بهذه الإشارة بين القصيدة وما سبقها، وقد استخدمت أساليب كثيرة في هذا الصدد، منها حين يبدأ الشاعر بتقديم قصيدته من خلال تقديم نفسه في البيت الأول»[2]، ونجد ذلك عند الشاعر الماجدي بن ظاهر، ويعقوب الحاتمي، ومبارك العقيلي... والسبب في ذلك، حسب المؤلف، هو علو شأن الشاعر في المجتمع، وإصرار متلقيه على الاستماع إليه وتتبعه، أو حتى بسبب ندرة وجود الشعراء، أو تدني مستواهم الشعري. وقد تكون البداية بذكر الشاعر افتخاراً بالمقدرة الشعرية أيضاً. ومن أساليب الشعراء كذلك، كما يؤكد المؤلف على ذلك، نجد استخدام أسلوب النداء في مطلع القصائد، وذكر المخاطب أيضاً، كما هو الأمر عند الشاعر جويهر بن عبود الصايغ:

يا بن حمد يا سنادي رخصه قل لي مباح

أو بمخاطبة المحبوب بأحد رموز الطبيعة، كما هو الشأن عند الشاعر الشيخ خليفة بن شخبوط آل نهيان:

يا عود ريتك هايف ومنك سمطت لاوراق

بونك مظل ونايف وكل قلب لك مشتاق

بل إن هناك من الأساليب المهمة في بداية القصيدة الشعرية التقليدية، مثل الابتداء بالدعاء والابتهال إلى الله، سبحانه وتعالى، مستخدماً في ذلك أسلوب النداء، هذا الدعاء والابتهال يضفي على القصيدة مناخاً من السكينة والطمأنينة النفسية، والسلام الروحي، كما ورد عند الشاعر محين الشامسي:

يارب ياعالم خفيات لاسرار

تجعل لنا سمك السماوات مدرار

في المدرسة التقليدية نجد اهتماماً بالبدء بطلب أدوات الكتابة الذي هو بمثابة بيان ثورة مشاعر وأحاسيس الشاعر نفسه، كما هو عند الشاعر يعقوب الحاتمي. وهناك أساليب أخرى أبدعها الشعراء الأقدمون، مثل البدء بدوران عجلة الشعر كناية عن بداية رحلة القصيدة، وهو أسلوب من أساليب إضفاء الحركة على القصيدة لزيادة عنصر الإثارة لجلب انتباه المتلقي، كما هو الشأن عند الشاعر أحمد بوسنيدة.

هذا عن البداية، أما عن النهاية، فإن الشعراء الرواد درجوا على الإشارة إلى الانتهاء من القصيدة بالصلاة على النبي الأكرم، صلى الله عليه وسلم، وذلك تأكيداً على التزامهم بالثوابت الاجتماعية والدينية، «كي يقنع المتلقي بأنه لم يخرج عن سياق هذه الثوابت، أو أن يكون بمثابة إبراز حسن نيته في المعاني الواردة في سياق القصيدة؛ كي لا تؤخذ بمعنى خارج عن الثوابت الاجتماعية»[3]. ومن هنا، نجد المؤلف قد استحضر بعض النهايات الواردة في القصائد الشعرية، مثل طلب الشاعر السماح من مخاطبه بذكر الأشجان ومدخلها، كالأنين والهموم. أما عن الخطاب، فيستحضر محمد عبدالله نور الدين العديد من الصيغ، كأخذ الشاعر دور المخاطب

دون إضافة ردٍّ من المخاطب في القصيدة، مثل مخاطبة المندوب والنديم وحادي الإبل، وعناصر الطبيعة كالنسيم والطائر، أو عناصر أخرى من صنع الإنسان كالبيت والقصر... وليؤكد على أهمية هذه المدرسة في الشعر النبطي الإماراتي، فقد قدم قراءات نقدية وتحليلية في قصائد بعض الشعراء الرواد، مثل: الماجدي بن ظاهر، وسلمى بنت الماجدي بن ظاهر، وعلي بن محين الشامسي، وسعيد بن عتيج الهاملي، وأخيراً جويهر بن عبود الصايغ.

أثر المدرسة الشعورية

يرى المؤلف أن المدرسة الشعورية أو الرومانسية قد نشأت من ذائقة الشعراء، وجرأتهم على طرح عواطفهم وأفكارهم، بغض النظر عن قبول المتلقي أو الناقد بالأمر، أو عدم قبوله. وسمّيت هذه المدرسة بهذا الاسم؛ لأنها تؤكد على ملاحظة الظواهر النفسية[4] من وجوهها الخارجية، وفي تجلياتها المادية والنكوص، تتبعها في باطنيّتها الوجدانية، عمل لا يرجى منه علم أي معرفة حقيقة الظواهر النفسية. وكذلك لكونها تبحث في اللاشعور والمكبوتات التي تهتم بالأعراض الخارجية الشعورية والسلوكية الظاهرة[5]. فالقصيدة الشعورية في البدء، حسب المؤلف، كانت تشبه القصيدة التقليدية، ولكن مع مرور الوقت خلعت عدداً كثيراً من ثيابها التقليدية؛ لتصبح مدرسة جديدة في الأدب الشعبي. وفي هذا الإطار، قدم المؤلف العديد من المواصفات المكونة لهذه المدرسة، حدّدها في النقاط الآتية:

1- الصورة الداخلية: توجه تركيز الشعراء إلى رسم الصور الشعرية باستخدام ما بين جوانحهم، بعد ندرة الصور الداخلية في المدرسة التقليدية، التي كانت تتشكل من استعارات ميتة. حيث اهتمت المدرسة الشعورية بالصورة الداخلية، حتى صارت صورة جديدة مرتبطة بعاطفة الشاعر ارتباطاً وثيقاً.

2- التأثير في الجوارح: يعني المبالغة في إظهار عظمة المحنة التي يعانيها الشاعر، والتي يمكنها أن تنشأ عن حدة تفاعل الشاعر مع نفسه إرضاء لذاته بالدرجة الأولى.

3- الإسقاط: إسقاط المشاعر على الطبيعة المحيطة، والذي يعدّ تفاعلاً خارجياً، يحاول الشاعر من خلاله إفراغ الشحنات الداخلية التي يعانيها، وذلك بإشراك الآخر غير العاقل، «سواء كان بالتحدث معه، أم بإظهاره متأثراً بالحالة العاطفية التي رسمها الشاعر في القصيدة»[6].

4- الاستعطاف والخضوع: يكون بزيادة درجة التفاعل مع الموضوع، حتى تؤثر في أعضائه الداخلية والخارجية، وفي حالة يصل التأثير إلى درجة عليا، يستسلم الشاعر في بعض الأحيان للألم ولا يتحمله، فيلجأ إلى طلب العفو، ثم يخضع للطرف الآخر، وخاصة المحبوب.

5- المنطق الشعوري: لقد خرج شعراء القصيدة الشعورية في حالات كثيرة عن المنطق العقلي، وأصبحوا يستخدمون أساليب منطقية كثيرة لا تستقيم أمام العقل.

6- الحوار: يتم من خلال توجيه خطاب الشاعر

الرومانسي إلى داخله وخارجه معاً؛ لأنه ليس خطاباً من طرف واحد، بل هو خطاب يرتقي إلى مستوى الحوار بين الشاعر ومخاطبه.

7- الوحدة العضوية: اعتماد بنية القصيدة على الاستمرار، فاهتمام شعراء هذه المدرسة بالوحدة العضوية اهتمام كبير، نظراً لتوالي الأبيات واستمرارها بيتاً بعد آخر، في قالب الموضوع الواحد، وهذا التماسك بين الأبيات لا نجده إلا في المدارس الشعرية الأخرى.

وفي هذا الإطار، قام المؤلف بدراسة بعض التجارب الشعرية، وبعض النماذج من شعراء هذه المدرسة، مثل: خلفان بن يدعوه، ومحمد راشد المطروشي، وعلي بن قنبر، وأحمد بن علي الكندي.

مواصفات المدرسة الواقعية

لقد نشأت المدرسة الواقعية من ذائقة الشعراء الفنية، حيث يشكل الشاعر فيها رابطاً قوياً مع القصيدة والنقاد، وروابط أقل قوة مع المتلقين، فالمتلقي في هذه المدرسة كما يقول المؤلف: «لا يفرض ذائقته على الشاعر، بل العكس، يحاول الشاعر استحداث أجواء جديدة في النص الشعري، واستثارة مناطق ذوق جديدة لم تحرك سابقاً، ويعود اهتمام شعراء هذه المدرسة بالنص الشعري إلى ارتفاع مستوى التعليم بالمنطقة، وتوسع آفاق معارف الشعراء، واطلاعهم على تجارب الآخرين، وكذلك إلى ظهور منافذ إعلامية جديدة، كالمذياع والتلفاز والصحافة...»[7]. فالمدرسة الواقعية في الشعر النبطي الإماراتي تعدّ بمثابة مرحلة الانتقال من الشعر الشفهي إلى الشعر الكتابي الحقيقي؛ لأن القصيدة الواقعية لم تتمرد على الواقع المحيط بها، كما فعلت القصيدة الشعورية، حسب المؤلف، بل جاءت نتيجة توسع معرفة شعرائها وإراداتهم وعزيمتهم في إثبات الذات، فالشاعر في هذه المدرسة بعد استقراره النفسي، يتوجه إلى الاهتمام بنصه؛ كي يسمو بذائقته الأدبية، ويشبع ذاته المتألقة، وذلك من خلال تقديم قصائد تعبر عن براعته الشعرية وقدرته على الإبداع الشعري الجميل.

ويرى المؤلف أن الشاعر يدخل في مرحلة تحدٍّ كبير مع مقدرته الشعرية، وإبداع أبيات شعرية بصورة جديدة، كما هو الأمر عند الشاعر يعقوب الحاتمي:

ونيتْ يوم الشرع نزّاع ... ونة لذي في الجبس مرصوغ
أو ونة المطعون ويراغ ... من عقب ما هو سبع يروغ

وتتميز المدرسة الواقعية بالعديد من الميزات التي جعلتها تبرز بقوة في الشعر النبطي الإماراتي، منها كونها جاءت مع مرحلة التدوين، واستخدام المصدر، والوحدة العضوية، والتجريد وتغيير الثوابت، وتفعيل الحواس، والصورة الشعرية، والتجديد في القالب. ولتحقيق هذه العناصر، حاول المؤلف أن يحلل بعض النماذج الشعرية لشعراء متميزين في الساحة الشعرية في الإمارات، هم: محمد أحمد السويدي، ويعقوب الشامسي، وعتيق القبيسي، وسالم أبو جمهور، وشيخة الجابري.

المدرسة الرمزية ومواصفاتها

يؤكد المؤلف أن المدرسة الرمزية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بشعرية النص، فلا توجد هناك شعرية أعلى من الأخيلة ومن التصوير الذي يرسمه الشعر في أذهان المتلقين، حيث إن الرمزية هي المدرسة

التي يشكل فيها الشاعر رابطاً قوياً مع القصيدة والقارئ، وروابط أقل قوة مع النقاد، فالقارئ لا يفرض ذائقته على الشاعر، فهذا الأخير هو الذي يحاول تفعيل القارئ واستدراجه نحو داخل النص الشعري وتفاعله معه، لدرجة أن الشاعر يتخيل نفسه قارئاً متلقياً وهو في النص. فالمدرسة الرمزية تهتم بالصورة الشعرية، من خلال كونها تمضي في سياقات متوازية، فالسياق الظاهري، مثلاً، قد يصير وصفياً أو تصويرياً مباشراً للرمز مع سياق آخر تصويري للرموز أيضاً.

إن المعنى في السياق الرمزي، حسب المؤلف، يكون عادة فنياً، بينما المعنى في السياق المرموز يكون أكثر واقعية، فلن تحتاج القصيدة إلى إعادة القراءة، إذا كانت العلاقة بين الرمز والمرموز واضحة، لكن مع إعادة القراءة يمكن للعلاقة التحليلية بين النص والقارئ أن تزداد، فتزداد في النهاية نشوته كلما اكتشف (القارئ) تشابهات جديدة بين الرمز والمرموز. إن الحديث عن المدرسة الرمزية في الشعر النبطي الإماراتي يجرنا، حسب المؤلف، إلى الحديث عن تجربة شعرية فارقة في هذه المسيرة التي تمتد من عصر الماجدي بن ظاهر منذ أكثر من ثلاثة قرون، حتى اليوم، وهي تجربة الشاعر سالم أبو جمهور. وفي هذا الصدد قام المؤلف بتحليل نماذج شعرية لشعراء إماراتيين كبار، وأهم هؤلاء الشاعر سالم أبو جمهور، الذي يعد من الشعراء القلة الذين غيروا مسار المدارس الشعرية، ودوره الفاعل في نشأة المدرسة الواقعية في الإمارات من ناحية، وتفرده في وضع مدرسة رمزية في الإمارات دون مشاركة من الشعراء الآخرين.

في ختام الكتاب، وفي الفصل الخامس، قدم المؤلف نبذة عن المنعطفات التاريخية التي عبرت منها المدارس الشعرية في الإمارات، من خلال وقوفه على الأبعاد الزمنية والتاريخية، حيث استحضر هذه الأبعاد في كل مرحلة من مراحل تطور القصيدة النبطية، انطلاقا من مرحلة النشأة، ومرحلة الصمود، ومرحلة الاتحاد، مروراً بمرحلة التدوين والنشر، وصولاً إلى مرحلة الثورة المعلوماتية. ولابد أن نقول في النهاية، إن الكتاب قد قدم للقارئ الإماراتي والعربي معاً أهم الأفكار عن تطور القصيدة النبطية الإماراتية، ومدى استجابتها للشروط الشعرية والفنية والجمالية في الشعر التقليدي والحديث والمعاصر.

1- محمد عبدالله نورالدين، الشعر النبطي الإماراتي: مدارس وتجارب، إصدارات معهد الشارقة للتراث، الشارقة، ط. 1، 2019، ص. 13.
2- محمد عبدالله نور الدين، المرجع السابق، ص. 24.
3- المرجع السابق نفسه، ص. 34.
4- مروان بن فارس، «المدرسة الشعورية: علم النفس الاستنباطي»، موقع العصيان المعرفي، بتاريخ: 4 مارس 2015، رابط الموقع: https://benfares.wordpress.com/.
5- بشرى سعيدي، نظريات التحليل النفسي والمسرح، دار المنهل، بيروت، ط. 1، 2017، ص. 21.
6- محمد عبدالله نورالدين، المرجع نفسه، ص. 109.
7- محمد عبدالله نورالدين، المرجع نفسه، ص. 158.

أحمد بن ماجد

مغامرات البحر والفوائد

محمد نجيب قدّورة
كاتب وباحث – فلسطين

أحمد بن ماجد ذلك الإنسان الذي ساهرت كتاباته أزماناً تلو أزمان، قرأته قراءة واعية كاشفة أسرار حياته.. فوجدته العبقرية ذات المكانة والشأن، في علم البحر والفلك ووصف البلدان.. وفي غمرات شغلي بالإنجاز النفيس، تمخض جهدي عن كتابين، هما «ابن ماجد المعلم الأديب في إفهام اللبيب»، الذي أصدرته دار القاسمي مشكورة، ثم كتابي «أرجوزة أسود البحر»، إلى الآن.

لا يزال لابن ماجد شيء في صدري، كأن أبرهن على عزيمته وحبه المغامرة في الكشف والتجريب المتعمد، غير مبالٍ بالمصاعب في الوصول إلى هدفه المنشود، في أن يكون لعلمه ما بعده من السلوك التربوي النبيل الذي ينجي من المهالك، ويفتح أبواب المسالك لما هو مجهول.. قالت نفسي: أتعني أن ابن ماجد كان مغامراً؟ قلت أجل؛ فهو يحقق رغبة المتنبي في قوله:

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت في أمر عظيم

قال نفسي: إن الموروث من القيم يحفز الهمم لوحي القلم.

الباحث عن الحقيقة

لا مجال للتساؤل لماذا ننبش الذاكرة، ونحن في حضرة عالم هو صاحب المهام الصعبة، قالت نفسي هات أتحفنا بما لديك، قلت القول لابن ماجد في كتابه الفوائد في علم البحر والقواعد:

«يا طالما أتينا بالمراكب من الهند والسيام والزنج وبلاد فارس والسند والحجاز، بقصد لا يميل عن جهة البلد المطلوبة بأموال وأرواح».

فيقول في قصيدته الملاحية ميمية الأبدال:

حصرت نجوم الأفق في البحر هادياً
بها مسالك البحر المحيط المعظم

إنه ليس مغامراً كاشفاً علم الفلك والهيئة الملاحية، بل هو المؤسس لعلم البحار النفيس، فهو القائل في قصيدته البليغة:

كشف لعلم ما سبقت لمثله
وكل فتى يجني الذي هو زارع

حيث زارع الفكر يحيط مزرعته بالرعاية والعناية والمتابعة، وبثقة متناهية، وهو فاهم ما يقوم به، وأنه سيصل إلى المرجو من سعيه دون ملل أو سأم، فيقول في قصيدة ضريبة الضرائب ما يثبت أنه دفع ثمناً من العمل المتواصل في البحث عن الحقيقة:

فخذ من علوم لا سمعت ولا ترمي
لذا العلم من غير وذي لذّة العمر

أجلْ، الباحثون عن الحقيقة هم وحدهم يدركون حجم المعاناة والمكابدة من سهر العيون، وسرحان الخواطر، وتأمل المناظر، وقياس هذه بتلك من الفشل ثم الفشل نتعلم الأمل، ونسلك الطريق إلى قمم النجاح، قال لي من في المجلس الثقافي: المفاخرة تقضي الحذر والدقة والحيطة والدراية! قلت هذا ما أكده ابن ماجد في رواية علمية فنية، وهو يقارن بين الديرة والقياس والمجرى:

«وقد فرّقت كل ديرة عن الأخرى؛ لأن العلوم مثل السلاح، تارة تحتاج إلى القوس، وتارة للسيف، وتارة للطبرق، وأخرى للخنجر، وكل ذلك لا يغنيك عن السكين».

«والديـرة تنفـع في أمكنـة أكثـر مـن القياس، والقيـاس في أماكن أنفع منهـا، والمجرى المنتخـب منهـا أنفـع مـن الجميـع، فالديـرة تقول للقيـاس: أنا الأصل، وأنـت الفـرع، والقياس يقـول: لو لم أشـهد أن الديـرة تغيرت فغير مجـراك أيهـا المسـافر لغـوي، ويعـارض المجرى كليهمـا فيقول: الديـرة أمـي، والقياس أبـي، وأنا زبـدة البحر، قد اسـتخرجني المعلم الماهـر، الحاسـب مـن بينكما».

إذاً الأمـر مغامرة محسـوبة محتاط لها؛ لـذا قال ابـن ماجد في الأرجـوزة المعلقية:

فاحتذرنّ منهم كل الحذر

لا تضربنّ جوهراً على حجر

ابن ماجد يؤرخ للمغامرة

ابتـدأ المغامـرة مـع أبيـه مـن جلفار مسـقط رأسـه إلـى البصرة، متبعـاً تعاليم جدّه الموروثـة بالتجربة.. وهـو يـدرك مخـارج الخليـج، وارتطـام أمواجـه ودوّاماتـه وخرافاتـه.. كمـا يعـي مسـيره في الليـل قاصـداً في خروجـه رأس الحـدّ، أو ما يسـمى رأس الجمجمـة، وصـولاً إلى جزيـرة مصيرة، إلـى فرتك وعـدن فبـاب المنـدب، وهنا تأتـي أحاديثـه عن بحر القلـزم (الأحمـر)، وهـو يتوجه إلى جدّة فالسـويس، ثـم يعطيـك معلومة إخباريـة بأن الأندلـس في زمانه كان نصفهـا للإسـلام، ونصفها للنصـارى، ويتحدث عن جيل يسـمى سلسـلة الأرض، وعن معـادن العنبر والذهـب والعود، (كما يسـميها ابن ماجـد)، ويعلمنا «أن أهـل سـيلان يهتـدون بالبـرق، وهـو ليـس برقاً ينقـدح من السـحاب كسـائر البـروق، بل هو برق خلـب من غير سـحاب».

قلـت لأصدقائي في مجلـس الثقافة: لقـد عايـش ابـن ماجـد أحـداث عصـره، وسـافر إلـى أماكـن لـم يسـبق إليهـا، فهـو القائـل في الأرجـوزة المعربـة:

إني قـد سـافرتها بالعمـد

ما لي قصد غير هذا القصد

إن لـم أكـن أكشفهـا بالجهـد

من الذي يسطو عليها بعدي

ويؤكـد هذا العـزم والإصرار علـى المغامرة بسـرد تجربته قائـلاً في قصيدتـه الذهبية:

ستعرفني الفرسان في كل موكب

ولم أحمل الخُطا فوق الكتائب

فيحق لمثله أن يفخر بما أنجز بسـلاح العلم لا سـلاح الحـرب، وهـو الذي عـاف الكرى في الغياهـب، بينما غيـره سـاهرون بـلا معنـى، فيقول في وصف شـرفه المـروم في قصيدته نـادرة الأبدال:

وكيف اشتغالي عن مرام أرومه

ودون ارتقاء المجد حز الخناجر

وأعزم عما يقصر الطير دونه

وأركب فياضاً من الموج زاخر

هـذه هـي مغامـرات العالـم المتمكـن، لا مغامـرات المغامـر الجاهـل في تحركاتـه البحرية، فهو يحسـب حسـاب الأمطـار في الأسـفار، ومواقيـت المواسـم، وسـفر المعور والمتأخر أو المفلس أو صاحب الضرورة، أو ما يسـميه المؤرخـون البحريـون بالتواريخ الحرجة

الطارئـة.. ويتحـدث ابـن ماجد عـن ذلك أنـه: «ولج البحـر في ثلاثـة مواسـم لـم يرسـمها أحـد قبله من أهـل البحـر، فاتخـذت بعده مـن هرموز إلـى جدّة»، يقول ابـن ماجد:

«سـفرة مـع الشـيخ عبدالرحمـن بـن الشـيخ علـي الحمـوي، وكان قـد أخـر قرابـة خمسـة مـن مراكب شـحن، ولـم يأخـذ لها موعـداً، فوقـع عليه انكسـار ليلـة خروجـه مـن جـرون، فتحيـر فولجـت به».

ويتابـع «والمركـب الثانـي مركـب محمـد بـن مرعي، دخلـت بـه جـدة، وجميـع تجـاره وركابـه ونواخيـذه يريـدون الردّة لليمن، فلـم أطعهم في ذلك، وولجت به، ودخلـت بمركـب مـن الهند على زمـان (قايـت باي)، ونائـب جـدة (قراجـا)؛ لأني قبل ذلـك ولجت بمركب صـدق الدين الحلبي، المسـمى بامحمود، بعد مشـقة عظيمـة، وصـار ولوجـي عن التـرك حجةً».

أجـل يا أصدقائـي هواة التجربة والمغامرة المرسـومة، هـذا هـو العالـم المجـرّب فلا يصيبكـم الزمـان بعلة التراخـي والخـوف من اقتحام الصعاب، فاسـمعوا ما قال ابـن ماجد:

فهـذي مقالات الشهاب اعملوا بهـا

مقالات من في حصرها فارق الوطن

ألا جـوّدوا في آلـة الفلك واصلحـوا

مواسمكم والحمل ثم اتركوا الوسنْ

ابـن ماجـد في قصيدته كنز المعالمة يضـع النقاط على الحـروف، بعدمـا غامـر خمسـين سـنة في مصارعة الأمـواج والريـاح والظلمـات، هـا هـو يقـول لنـا أنا الباحـث عن الحقيقة، فاسـلكوا مسـلكي مـن بعدي:

عرفت أودية المجهول تجربة

ولا سبقت لباب وهو مقفول.

رأس السنة اليابانية

تحافظ اليابان منذ القدم على تقاليد ثابتة لم تتغير حتى الآن، من بينها أنها تحتفل بأربعة فصول على مدار السنة، لكل فصل احتفالاته ومهرجاناته وأطعمته الخاصة به.

رية ناكاو
كاتبة وفنانة – اليابان

يسمى فصل الربيع في اليابان موسم زهر الكرز، الذي يعرف باليابانية بـ(ساكورا). تزهر شجرة ساكورا بين أواخر مارس وبداية شهر أبريل، وهي شجرة لا يحبها اليابانيون فقط، ولكنها أيضاً تجتذب العديد من الجنسيات الأخرى حول العالم، ولهذا غدت ساكورا رمزاً لليابان.

يعدّ شهر أبريل هو بداية العام الأكاديمي، وبداية موسم الأعمال؛ ولهذا ترمز ساكورا إلى بداية الحياة الجديدة. يخرج كثير من الناس للتنزه، ولمشاهدة شجرة ساكورا والاستمتاع بتناول الطعام والشراب، والدردشة مع الأصدقاء والعائلة تحت ساكورا بأزهارها وألوانها الساحرة التي تبث البهجة في النفوس. غالباً ما يُقارن جمال أزهار الكرز التي تستمر لفترة قصيرة فقط بحياة الإنسان؛ أي أن حياة الإنسان قصيرة وهشّة، لكنها في الوقت نفسه جميلة .

بين أواخر أبريل وبداية مايو، هناك عطلة طويلة تسمى «الأسبوع الذهبي»، فليس من الشائع أن يقضي الموظفون اليابانيون إجازة لمدة شهر متواصل مثل البلدان الأخرى.

فالعطلة الطويلة في اليابان تعني من أسبوع إلى عشرة أيام على الأكثر، وتتمتع اليابان بطقس مثالي للسفر إلى الخارج وإلى الداخل في ذلك الوقت.

يعرف شهر مايو بالموسم الأخضر الطازج، ويعدّ أوائل فصل الصيف.

أما يونيو ويوليو فهما شهران ممطران يصاحبهما رطوبة عالية.

بعد شهر مطير، يبدأ فصل الصيف، وهو الوقت المناسب للاستمتاع بالهواء الطلق في المناطق الجبلية والبحر. ويقضي الأطفال خلاله عطلة صيفية تراوح بين 3 و5 أسابيع.

حسب التقاليد، خلال العطلة ينظم كل مجتمع مدينة تمارين الصباح، ويذهب الأطفال كل صباح في وقت مبكر للحصول على ختم الحضور على بطاقتهم .

يُطلق على منتصف شهر أغسطس اسم «بون»، حيث يعود الناس إلى مواطنهم، ويزورون العائلات والأقارب، ويذهبون إلى المقابر. هناك العديد من المهرجانات الصيفية والألعاب النارية في جميع أنحاء اليابان، والجميع، من الأطفال إلى الكبار، يرتدون «يوكاتا»، وهو لباس شعبي مصنوع من القطن.

يعرف سبتمبر بشهر الإعصار الذي تصاحبه رياح قوية وأمطار غزيرة.

يوم الحادي والعشرين من شهر سبتمبر، هو «يوم احترام المسنين»، الذي يتم فيه إرسال الهدايا للآباء

أو الأجداد. في هذا اليوم، يزور الأطفال كبار السن للتحدث معهم، ويغنون الأغاني لهم، ويلعبون معهم.

أما أكتوبر ونوفمبر، فهما شهرا الخريف، وهو موسم لتنظيم اليوم الرياضي، ليس فقط في المدارس، ولكن في بعض الشركات أيضاً.

شهر نوفمبر هو شهر جميل لأشجار الخريف التي تتحول أوراقها إلى الأصفر والأحمر والبرتقالي.

ديسمبر هو الشهر الأخير من العام الذي يزخم بالفعاليات والاستعدادات ليوم رأس السنة الجديدة. يُطلق على يوم 31 ديسمبر؛ أو ليلة رأس السنة الجديدة، اسم «أوميسوكا» باللغة اليابانية، وهي تشير إلى الطريقة الشعبية لقضاء ليلة رأس السنة الجديدة لأفراد الأسرة الذين يتجمعون لينتظروا معاً «توشيغامي سما»، الذي يعني «إله العام» لزيارة المنزل.

توشي كوشي سوبا

في ليلة رأس السنة الجديدة، يأكل اليابانيون سوبا (معكرونة الحنطة السوداء). توشي كوشي تعني «دخول العام الجديد». معكرونة سوبا رقيقة وطويلة؛ لكي تشر إلى طول الحياة؛ لذلك يأكل الناس سوبا على أمل إطالة العمر.

موتشي تسوكي

يعني «موتشي تسوكي» هرس الأرز المطهو على البخار لصنع كعكة الأرز في ملاط كبير بمطرقة خشبية. يُصنع «موتشي»، (كعكة الأرز) الآن فقط للاحتفالات الخاصة مثل رأس السنة الجديدة، ولكنها كان تصنع، ويتم تناولها على مدار العام.

من بين التقاليد الشعبية في اليابان التي تمارس في يوم رأس السنة الجديدة، يتم تزيين الموتشي في المنزل وفي كل مكان، ويطلق عليه «كاجامي موتشي»، وهو عبارة عن مجموعتين من الموتشي، دائرتي الشكل، وبرتقالة صغيرة في الأعلى، ثم يقدمان للآلهة البوذية والشنتو. يقال إن اسم وشكل «كاجامي موتشي» مستلهمان من المرايا البرونزية المستديرة المستخدمة في الطقوس القديمة والمهرجانات في اليابان.

يتم تناول «موتشي»، بطرق عديدة مثل حساء يوم رأس السنة الخاص مع الخضار المشوي أو المحمص، وفي الأساس يؤكل للاحتفال بالصحة الجيدة والعمر الطويل.

في نهاية العام، يجتمع أفراد العائلة والأقارب معاً لصنع «موتشي»، في منزل الأجداد. عادة يقوم رجلان يهرسان الأرز اللزج في كعكة الأرز بمطرقة

خشبية، ثم تصنع السيدات كرة مستديرة منه. يتم حشو بعض الموتشي بالفاصولياء الحمراء في الداخل. في الوقت الحاضر، اختفت تلك الطريقة الشعبية لصنع الموتشي تقريباً، وغالباً ما يتم صنعه بالآلة.

هناك قول مأثور مفاده أن «اترك صنع الموتشي لمتجر الموتشي».

هذا يعني أنه من الأفضل ترك أي عمل احترافي لمتجر محترف، أو أن يكون لكل رجل مهنته، أو كما يقول المثل الشعبي العربي «اترك العيش لخبازه».

جيويا نو كين (جرس ليلة رأس السنة الجديدة)

خلال منتصف ليلة رأس السنة الجديدة، يدق الجرس الضخم 108 مرات في المعابد البوذية. يقال إن هناك 108 من الرغبات الشريرة للبشر في البوذية، لذلك يضرب الراهب البوذي الأجراس للتخلص من كل الرغبات والتطهر منها.

هاتسو مودي

في الصباح الباكر، يذهب الناس لمشاهدة شروق الشمس الأول من العام الجديد، ولكن يتجه بعض الأشخاص إلى الضريح فور سماع «جيويا نو كين»، (دقات الجرس). العديد من الأضرحة تفتح أبوابها في ليلة رأس السنة الجديدة لاستقبال الزائرين.

«هاتسو مودي»، تعني الزيارة الأولى للضريح للعام الجديد؛ لتمني الصحة والسعادة خلاله، والنجاح في العمل أو الدراسة وما إلى ذلك. يزور ضريح «ميجي جينجو»، وهو أحد المزارات الشهيرة، أكثر من 3 ملايين زائر في طقس «هاتسو مودي»، كل عام خلال عطلة رأس السنة الجديدة.

أوتوشي داما

في عطلة رأس السنة الجديدة يجتمع أفراد الأسرة والأقارب معاً، ويقدم للأطفال مظاريف صغيرة تحتوي على أموال من الآباء والأقارب. هذه الهدية

المالية تسمى «أوتشي داما»، وتنحدر هذه العادة من ممارسة توزيع كعكات أرز «موتشي»، التي كانت تقدم للآلهة، ثم تحولت فيما بعد إلى نقود.

أوسيتشي ريوري

هي أطباق السنة اليابانية الجديدة التي يتم إعدادها خصيصاً لتناولها خلال الأيام الثلاثة الأولى من شهر يناير. يتم تعبئة العديد من الأصناف الشعبية معاً في صندوق خاص. جميع مكونات أوسيتشي ترمز إلى النيات الحسنة؛ لأنها تؤكل للدعاء من أجل صحة جيدة، وحصاد وفير لمدة عام.

يتم طهي معظم الأطباق مع الاخذ في الاعتبار الحفاظ عليها لمدة ثلاثة أيام على الأقل، لأنه كان يُعتقد أن «توشيغامي سما» أو «إله العام»، يأتي ويبقى في المنزل في الأيام الثلاثة الأولى، ويجب على الناس عدم استخدام المطبخ خلال هذه الأيام. يقال أيضاً إن هذا لتجنب اضطرار النساء الطهي خلال تلك الفترة.

كادوماتسو

هو زخرفة فرع شجرة الصنوبر وتزيينها للعام الجديد، وهي عبارة عن قائمين مصنوعين من الصنوبر والخيزران، ويتم تثبيتهما في بعض الأماكن، كأمام المنازل وبوابة الأضرحة خلال العام الجديد.

في الماضي، كانت هناك عادة الذهاب إلى الجبال لجمع الأخشاب اللازمة للعام الجديد، بما في ذلك الحطب لطهي حساء خاص، يحتوي على أموتشي والخضراوات.

الطريق إلى العالمية

د. منّي بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

تعدّ تجربة الإمارات في مجال توثيق التراث غير المادي وحفظه، وتسجيله ضمن قائمة «اليونسكو» التمثيلية للتراث الثقافي الإنساني، تجربة رائدة ومهمة، حيث نجحت في تسجيل 11 عنصراً تراثياً، استعرضناها بالتفصيل في ملف هذا العدد، كما قدمت الإمارات نموذجاً فريداً في التعاون مع الدول الأخرى، في ملفات حفظ التراث وتسجيله.

أما فيما يتعلق بالتراث الثقافي المادي، فإن دولة الإمارات تمتلك مئات المباني التاريخية والتراثية، التي تتوزّع على إمارات الدولة السبع، وقد حظي بعضها بالتسجيل - كما هي الحال في مواقع العين الثقافية: الواحات، موقع هيلي الأثري، مدافن حفيت، بدع بنت سعود - على قوائم مواقع التراث العالمي، المدرجة في لائحة التراث العالمي في اليونسكو، وذلك لما تشتهر به العين من الناحية الثقافية، بمواقعها الأثرية ومبانيها التاريخية، وواحاتها التي أدرجت كأول موقع إماراتي على لائحة التراث العالمي في منظمة اليونسكو، بما يعكس عراقة المدينة، والمعاني الإنسانية الفريدة لأوابدها التاريخية، ومعالمها الأثرية، التي تشكل بقيمتها الاستثنائية منصة مثالية لإبراز الهوية الإماراتية وتقديم إنجازاتها الحضارية إلى العالم، بوصفها ركناً رئيساً في تراثنا وتاريخنا العريق.

وثمة مواقع أخرى، لاتزال على القائمة الأولية لمواقع التراث العالمي، منها: صير بونعير، والمشهد الثقافي في المنطقة الوسطى «مليحة»، والشارقة بوابة الإمارات المتصالحة، وجزيرة أم النار في أبوظبي، وخور دبي، وموقع الدور في أم القيوين، ومسجد البدية في الفجيرة.

يمثل ملف أيام الشارقة التراثية، المقدّم من معهد الشارقة للتراث؛ للتسجيل ضمن سجل أفضل ممارسات صون التراث الثقافي غير المادي، واحداً من الملفات المهمة والواعدة، والتي سيعزّز تسجيلها من مكانة الشارقة كوجهة للجذب السياحي، استناداً إلى ما حظيت به الأيام التراثية من تراكم ثقافي وتراثي، وما حقّقته من سمعة وصيت منذ انطلاقها في عام 2003.

ago. This is what led us to celebrate this occasion by highlighting all the Emirati heritage elements registered on the UNESCO lists through a special file titled “The Emirati Heritage to the World”. It is a rich and important subject presenting a comprehensive and integrated information about the various Emirati heritage elements. It further opens the door for registering other elements, in line with these efforts, to be added to the rich UAE registry.

Readers will find in this issue an extensive review of the eleven elements that have been registered so far, namely: (falconry, Sadu, Al Taghrooda, Ayyala, Arabian coffee, Arabian Majlis, Al Razfa, Al Azi, palm tree, Al Aflaj, camel races). It also includes rich subjects within the same context, such as the Sharjah Heritage Days, which the Sharjah Institute for Heritage has submitted for registration within the best practices for preserving cultural heritage

The issue also includes output of the heritage through a diverse cultural and heritage reports on the programmes, activities and events organized by the Institute throughout the year and their impact on enhancing awareness of the Emirati heritage. Moreover, there are other subjects focusing on the influence of the traditional poetry on the Emirati songs, the art of the assonance, the Bedouin women, composition in the folklore, and others.

The issue further includes various studies and articles on the Arabian and international heritage, highlighting the aesthetics of the human heritage as a whole, and showing common aspects of communication between different peoples.

UAE Heritage to the World

The UAE heritage with all its tangible or intangible elements mirrors the past and serves as a symbol of identity and national belonging. It also reflects the official and individual efforts to preserve and protect it from loss and extinction. So, the registration of the elements of «Al Aflaj» and “Camel Races» on the UNESCO lists crowned those official relentless efforts and the endeavors, which the UAE started a long time